الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب و اللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

تخصص : دراسات مقارنة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر

الموسومة بـــ :

2013
Fac 17 2078

صورة البخيل بين الجاحظ و موليير

إعداد الطالبة:

مسطور فتيحة

تحت إشراف :

أ. د عبد العالي بشير

لسنة الجامعية: 2011-2012م

TAS-BIO-14
51
النسخة

شكر

لا بد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة العلمية من العودة إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع زملائنا وأساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير، الذين بذلوا جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتحمل الأمانة من جديد.

والشكر والإمتنان نحو أستاذنا المشرف الدكتور عبد العزيز بنا الذي تجلت فيه نموذج الأستاذ الباحث، فلولاه لما كان هذا البحث بهذه الشاكلة

الإهـــداء

إلى حكمتي ... وعلمي

إلى أدبي... وحلمي

إلى طريقي... المستقيم

إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله إلى أمي الغالية.

إلى اليد الطاهرة التي أزالت من أمامنا أشواك الطريق ورسمت المستقبل بخطوط من الأمل والثقة إلى أبي الحبيب.

إلى من علموني علم الحياة، إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إلى إخوتي.

إلى الروح التي سكنت روحي إلى زوجي.

إلى الأخواتي اللواتي لم تلدهن أمي،إلى من تميزوا بالعطاء والوفاء إلى صديقاتي.

إلى من يرتعش قلبي لذكره، إلى من علمني علم الحياة إلى من أخذ بيدي ورسم الأمل كل خطوة مشيتها، إلى من تسكن صورته وصوته أجمل اللحظات والأيام التي عشتها إلى سليم رحمة الله عليه أسكنه الله فسيح جنانه.

دعاء

يا ربّ لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا أصاب باليأس إذا فشلت

بل ذكّرني دائما بأنّ الفشل من التجارب التي تسبق النجاح.

يا ربّ علّمني أنّ التسامح هو أكبر مراتب القوّة وأن حبّ الانتقام هو أوّل مظاهر الضّعف.

يا ربّ إذا جرّدتني من المال فاترك لي الأمل، وإذا جردتني من النّجاح اترك لي قوة العناد حتى

أتغلّب على الفشل، وإذا جردتني من نعمة الصحة اترك لي نعمة الإيمان.

يا ربّ إذا أسأت للنّاس أعطيني شجاعة الاعتذار وإذا أساء لي النّاس أعطيني شجاعة العفو.

يا ربّ إذا نسيتك فلا تنساني.

آمـــين

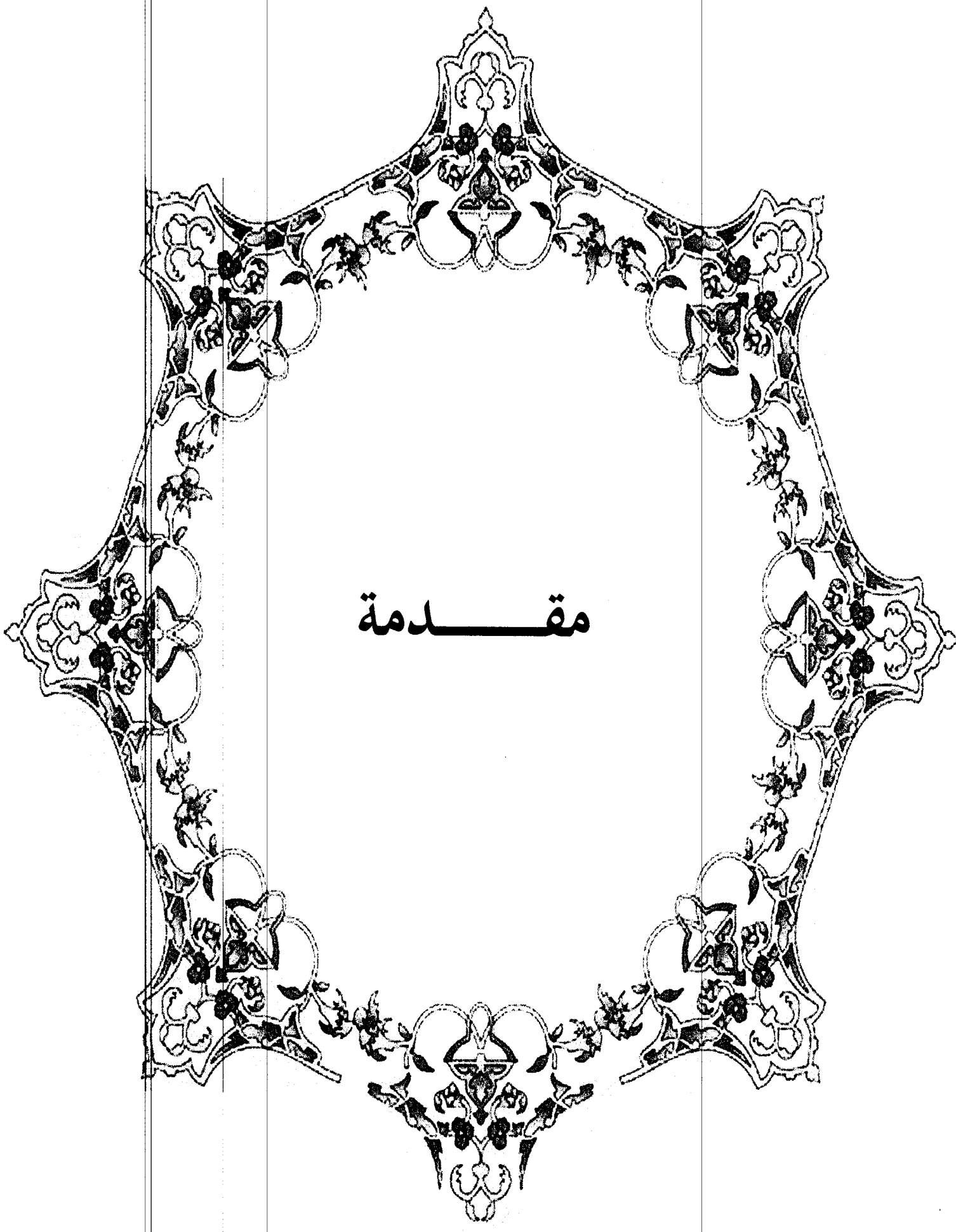

مقـــــدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم،علم الإنسان ما لم يعلم،والصلاة والسلام على نبي الأمم،سيدنا محمد الأجل الأكرم،وعلى آله وصحبه،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الأعظم،أما بعد:

- يعتبر البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه وهو من خبائث الصفات ورذائل الأخلاق قال الله تعالى" وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

- كما أن البخل ظاهرة خسيسة،وخلق باعث على المساوئ الكثيرة والأخطاء الجسيمة في الدنيا والآخرة،والبخل إن كان مذموما إلا أن ذمه يختلف ويتفاوت باختلاف صوره،فأقبح صوره وأشدها إثما هو البخل بالفرائض المالية التي أوجبها الله عزّ وجل على المسلمين تنظيما لحياتهم الإقتصادية وتختلف معائب البخل باختلاف الأشخاص والحالات،فبخل الأغنياء أقبح من بخل الفقراء والشح على العيال أوالأقرباء أو الأصدقاء أو الضيوف أبشع وأذمنه على غيرهم والتقتير في ضرورات الحياة من الطعام والملابس أسوء منه في مجال الترف والبذخ.

- البخيل هو ذلك الإنسان الذي تمثل فيه مجموعة من الفضائل أو الردائل أو مجموعة عواطف مختلفة كانت من قبل في عالم التحرير أو متفرقة في مختلف الأشخاص علما أن هناك نماذج مأخوذة من مصدر أسطوري أو أدبي أو عن تقاليد وطنية أو غير ذلك من الشخصيات التاريخية التي دخلت ميدان الأدب.

1:سورة آل عمران الآية:180.

-ويعتبر البخل من الظواهر الإجتماعية التي تفشت في المجتمع العباسي والتي أثمرت مذهبا خاصا بها،تبناه مجموعة من البخلاء، حتى أن هذه الظاهرة كانت مثارة نقاش كبير،وسالتبموجبها أقلام كثيرة، معبرة عنها تارة، وناقدة لها ولأصحابها ثارة أخرى.

ويد الجاحظ من أبرز النقاد والأدباء الذين سخروا من البخلاء ونددوا بغفلتهم في الحياة، بل وانتقدوهم نقدا لاذعا.

-كما أن شخصية أنموذج البخيل قديمة في الأدب العالمي، وتعود بداياتها الأدب الروماني والذين أخذوها بدورهم عن اليونان وعن شعراء الإغريق خاصة،كما كان لها تأثيرها في الأداب الأروبية، ومن بينهم الكاتب الفرنسي موليير الذي تأثر بملاهي الرومان، فراح يؤلف مسرحيته الشهيرة البخيل حيث صور موليير شخصية "آرباغون" أنموذجا إنسانيا للبخيل وتعمق في تصويره.وانطلاقا من هذه المعطيات وقع اختياري على موضوع ***صورة البخيل بين الجاحظ وموليير*** ليكون عنوانا لمذكرتي. [illegible]

- ولعل السبب الذي جعلني أتبنى هذا الموضوع هو السعي في التعرف على الإبداع الفني في مجال ظاهرة البخل عند الكاتبين،ولما وجدت في البخيل من تصوير حي للإنسان،فالجاحظ أعطى لبخلائه وصفا حقيقيا لإنسان موجود سمّاه باسمه، بينما موليير في تصويره لبخيله أعطاه صفات كثيرة إبتعد به فيها عن الواقعية.

- وقد قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول، يتضمن الفصل الأول تعريف الكاتبين، والفصل الثاني يندرج تحث عنوان دراسة الكتابين أمّا الفصل الثالث يشتمل على ظاهرة البخل في الكتابين وفيه أجريت مقارنة بين بخلاء الجاحظ وبخيل موليير.

- وقد اعتمدت في إعدعد هذا البحث على مجموعة هامة من المصادر والمراجع، وقد صنفتها حسب الإستغلال إلى:

- البخلاء،الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر.

- فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير،رابح العوبي.

- مع بخلاء الجاحظ دراسة مقارنة، د.فاروق سعد.

- دراسات في الأدب العربي، كاظم حطيط.

- البخيل عربي- فرنسي، موليير، مهى عبد الحفيظ صبرا.

- وقد اعتمدت أثناء إنجاز هذه المذكرة على المنهج الوصفي التاريخي لمناسبتهما لطبيعة الموضوع الحديث.

- وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في عملي المتواضع هذا، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى من أمد لي يد المساعدة لإنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذي المحترم المشرف الدكتور عبد العالي بشير الذي تحمل أعباء القراءة والتصحيح فكان نعم الأستاذ.

مدخل

. التعريف اللغوي:

– جاء في لسان العرب: البُخْل و البَخَل: لغتان و قريء بهما و البَخْلَ و البُخُولَ: ضد الكرم، و قد بَخِلَ يَبْخَل بُخْلاً و بَخْلاً فهو باخِلٌ ذو بُخْل، و الجمع بُخَّال، و بَخِيلٌ و الجمع بُخَلاءْ. و رَجُلٌ بَخَل: وصف بالمصدر، عن أبي العَمَيْثَل الأعرابي، و كذلك بَخّالْ و مُبَخّل و البَخّال: الشديد البخل، قال رؤبة:

فَذاكَ بَخّالُ أَرُوزُ الأَرْزِ و كُرَزٌ يمشي بَطِينَ الكُرْزِ

– و رجال باخلون، و البَخَلَة: بُخْل مرة واحدة. و بَخّلَه: رماه بالبُخْلِ و نسبه إلى البُخْل. و أَبْخَلَهُ: وجده بَخِيلاً، و منه قول عمرو بن مَعْدِ يكرب: يا بُني سُلَيم، لقد سألناكم فما أبخَلناكم، و قال شاعر:*و لا معد بُخْلُه عن إبْخال*

– و يروى أَبْخَال، فإن كان كذلك فهو جمع بُخْل أو بَخَل لأنه قد جاءت مصادر مجموعة كالحلوم و العقول، و فسر ابن الأعرابي وجه جمعه قال: معناه بعد بخل منك كثير، و عن ههنا بمعنى بعد كما قال:

و تصبح عن غِبِّ الصَّباب، كأنما تَرَوَّح قينُ الهَضْبِ عنها بِمِصْقَلِه

و المَبْخَلَة: الشيء الذي يحملك على البخل، و في حديث النبّي صلى الله عليه و سلم: "الولَدُ مَجْبَنَة مَجْهَلَة مَبْخَلَة": هو مَفْعَلَة من البُخْل، و مَظَنة لأن يَحْمِلَ أبويه على البخل، و يدعوهما إليه فيبخلان بالمال لأجله، و منه الحديث: "إنكم لتُبخَلون و تُجَبِّنُون"[1]

[1]: لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ج2 (د. ط). (د.ت)، ص 30،مادة(البخل)

- و جاء في مختار الصحاح ب خ ل، البُخْلُ و البَخْلُ بالفتح و البَخَلُ بالفتحتين كله بمعنى، و قد بَخِلَ بكذا من باب فهم و طرب. وبُخْلاً أيضا بالضم فهو باخِلُ و بَخِيلُ و بَخَّلَهُ نسبه إلى البخل و يقال "الولد مَبْخَلَة مَجْبَنَةُ".

قلت هذا حديث عن النبي صلى الله عليه و سلم و البَخّال شديد البُخْل.[1]

التعريف الاصطلاحي:

- يذكر الشريف الجرجاني للبخل تعريفات عدة يحمل كل واحد منها معنى، يتميز به عن الآخر ولا يختلف عنه يقول في إحداهما هو المنع من مال نفسه، و يعني بذلك أن يمنع الرجل نفسه من التمتع بمال هو ملك شرعي له، و تمتعه فعل طبيعي لابد منه، إذا لم يفعله تعرض أوأذي في بدنه، كأن يحرم نفسه بعض الأغذية الصالحة لتربية البدن ونموه. و يقول في تعريف آخر: البخل ترك الإيثار عند الحاجة، و يريد بذلك أن يلبي المرء رغبة ملحة، ولا يستجيب لحاجة ماسة ضنا منه بما يملك، و خوفا منه على فقدان بعض ما في يده.[2]

- أمّا الراغب الأصفهاني فقد عرف البخل في المفردات بأنه: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، و يقابله الجود، و يراد بذلك عن الإنسان نفسه و عن غيره من الناس، و حتى عن الحيوان، فلا يجوز أن يمنع عنه حقه من طعام و شراب و راحة و رعاية، و يعرف البخيل بأنه الذي يكثر منه البخل ثم يقول البخل ضربان: بخل (بقنيات) نفسه، و بخل بقنيات غيره، و هو أكثرهما ذما.

- أمّا ابن الحجر فقال: أن البخل منع ما يطلب مما يقتني، و شره ما كان طالبه مستحقا و لاسيما إن كان من غير مال المسؤول.[3]

---

[1]: مختار الصحاح لمحمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المؤسسة الحديثة للكتاب- طرابلس. لبنان (د. ط): (د. ت)، ص 44،مادة(البخل).
[2]: التعريفات الجرجاني إبراهيم الأبياري- نشر دار الكتاب العربي- بيروت ط2، 1985م ص 53
[3]: دائرة المعارف الإسلامية، أحمد خور رشيد ط6 (دت) ص 100

- ويعرفه المناوي بقوله "البخل إمساك المقتنيات عملا لا يحل حبسها عنه، و ضده الجود.

- ويعرفه المناوي بقوله "البخل إمساك المقتنيات عملا لا يحل حبسها عنه، و ضده الجود.

و قال القرطبي: البخل المذموم في الشرع: هو امتناع المرء عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه.[1]

- مصطفى لطفي المنفلوطي يرى أن البخل هو إحدى ملكات النفسية، و الملكة صفة راسخة في النفس تصدر عنها آثارعفوا بدون رؤية و لا اختيار، فكما لا يسأل المسرف عن سبب إسرافه والغاضب عن غايته من غضبه، و الحاسد عن غرضه من الحسد، فكثيرا ما تعرض لأرباب هذه الملكات عوارض تترع بهم إلى الرغبة عن التخلي عنها حينا، فلا يجيدون إلى ذلك سبيلا لمكان تلك الملكات من نفوسهم، ونزولها منها مترلة لا تزعجها الرغبات و لا تزعزعها الإرادات.

- فإذا وضع البخيل يده في كيسه و حاول القبض على شيء مما فيه أحس كأن تيارا كهربائيا قد سوى من نفسه إلى يده، فتشنجت أعصابها، و تصلبت أناملها، فأخرجها صفرا كما أدخلها، و بوده أن لا يفعل لولا أن الغريزة قوة فوق الإرادة، و سلطان تخضع له الرغبات و تنقاد إليه العقول، إلا إذا كان وراءها وازع من القانون يزعها فإنه يكسر شرتها أحيانا، و إن لم ينتزعها انتزاعا.[2]

- و ينقل الجرجاني عن بعض الحكماء قوله: "البخل محور صفات الإنسانية و إثبات عادات حيوانية." وما يريد الحكيم أن يقوله هوأن الإنسان له صفات خاصة به، تميزه عن المخلوقات الأرضية الأخرى من الحيوان والنبات و الجماد و ترفعه عنها، و من هذه الصفات العقل و العلم والإدراك، و منه أيضا أنه خليفة الله الخالق على هذه الأرض، و أنه مخلوق على صورة الرحمن و هذه الصفات و أمثالها هي جوهرالإنسان و حقيقته، و هي ذاته و فطرته، فإذا تعلق الإنسان بغيرها كالملك و المال و المتاع و المقتنيات، مما هو زائل فان فقد أضاع نفسه، و

[1]: القاموس الإسلامي، أحمد عطية الله. مكتبة النهضة المصرية. ط1. 1963م

[2]: المجموعة الكاملة لمصطفى لطفي المنفلوطي: الموضوعة- دار الجيل- لبنان، (د. ط) (د. ت) ص 125.

فقد ذاته، و تحول من صفاته الأساسية، التي هي أصله و فصله و جوهره، و انطبع بطباع الحيوان التي هي الأنانية الحرص و الشر و إشباع الغريزة و الشهوة. فليس البخل إذا إلا الحرص الزائل من الأشياء، و إمساك ما ينبغي الجود به و إنفاقه، سواءا على الإنسان نفسه أو على غيره من حوله. و قد سمى هذا الحكيم ما في الإنسان من طباع صفاتا، و ما في الحيوان عادات، و كأنه ينبه إلى أن الإنسان لا يميل إلى طباع الحيوان إلا بالتعود و ليس بالفطرة، فإذا غلب عليه التعود و قوى و اشتد فهو حيوان، و أما إذا تعلق بفطرته و تغلب ميله إليها (فهو حيوان) فقد تبث نفسه في مرتبة الإنسانية، و تمت الغلبة لذاته الإنسان على عنصره الحيوان.[1]

[1]: التعريفات الجرجاني، إبراهيم الأبياري، ص 55.

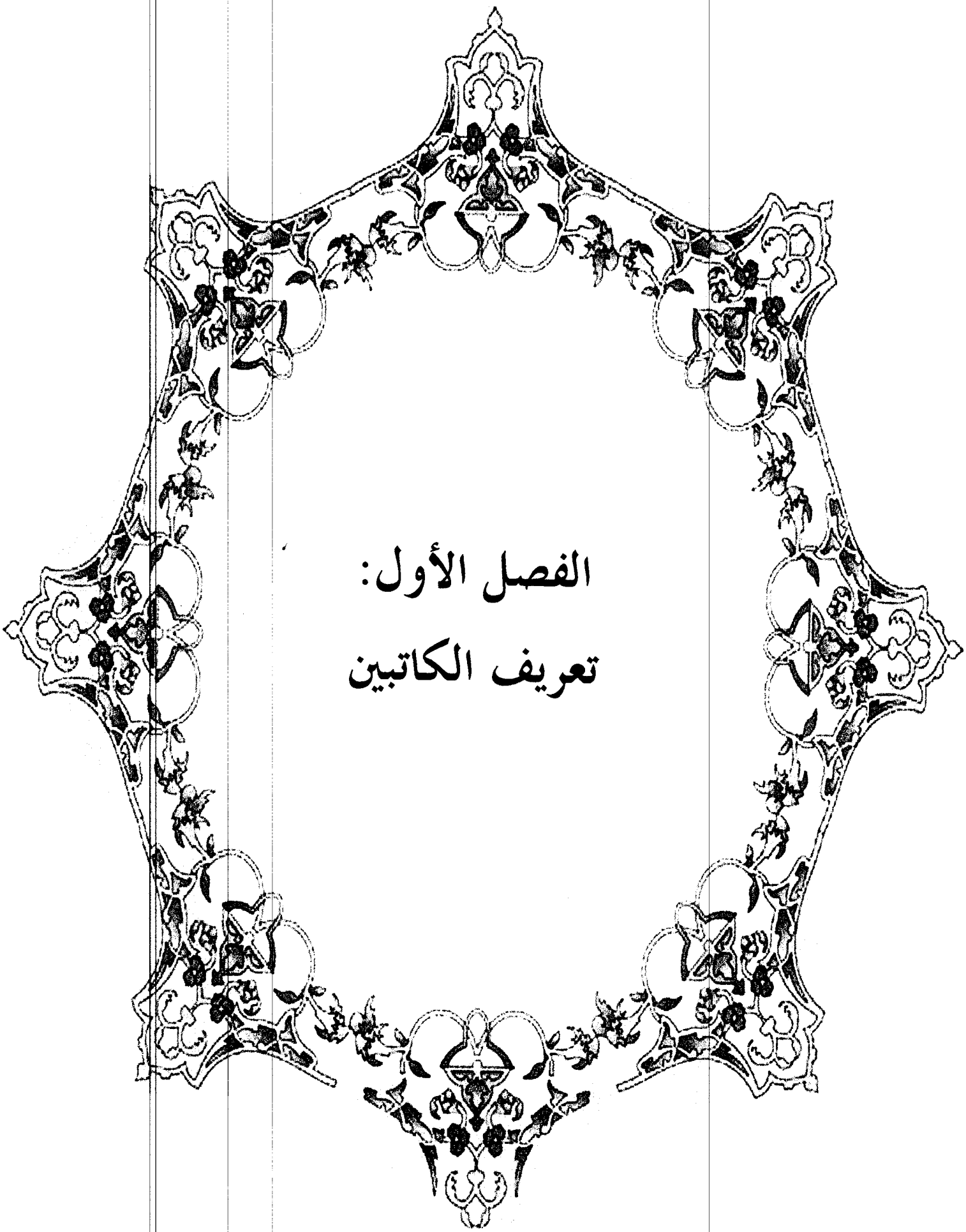

الفصل الأول:
تعريف الكاتبين

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر

أ- بيئته:

- نشأ الجاحظ في البيئة العباسية وما تعنيه من تجدد في الحياة، و انفتاح على الدنيا، فالناس تتسابق فيما يجني العيش وأسباب النعيم، وتتنافس في مجالات العالم والمعرفة، ثم تتوزع جماعات، تمضي كل واحدة منها إلى أغراضها و أهدافها، فتتعدد المفاهيم و تختلف الإتجاهات و ينشط المجتمع العربي العباسي في صراع خالق مجدد. وينطلق العقل العربي إلى العطاء،ليعمل الإنسان العربي في بناء عصره و صنع بيئته. و يرجع في ذلك إلى حضارات متعددة يغني بها فكره و مطامحه. و تتسع من جراء ذلك حرك العمران، و تشمخ عمارة الفكر الغربي. و يخصبه عطاء الحضارة العباسية.

- قد برز في هذا المجال إقليم العراق- فقد غدا مع العباسيين ملتقى متنوع الحضارات أو الجماعات، ليكون مكان تمازج عظيم، بل أرضا معطاء في الحواروالوجود الجديد، و إذا هو منطلق اجتماعي متعدد المراقي و الأبعاد، ينهل من الصحراء حينا، و من حواضر عالمية شرقية و غربية حينا آخر.

- وإذا هو يونان العباسيين بل الشرق إن لم يكن العالم بأكمله وازدهرت في العراق مدينة البصرة، مسقط رأس عمرو بن بحر الجاحظ، لتكون أثينا العرب، و إذا هي تشرع أبوابها للشرق والغرب، فيأتي إليها الناس من كل حدب و صوب لينالوا منها و يعطوها.

و تتباين فيها أساليب العيش والفكرو الحياة، و تنشط حركة النقل و تتعدد مذاهب الدين، فتولد فيها حركة الاعتزال. و تنشر المدارس والمساجد و يلين لها العيش، و تخصب الحياة و إذا هي مجالات للعمل و العلم، و ازدهار الحضارة .[1]

---

1 مع بخلاء الجاحظ ، د. فاروق سعد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط6، 1413ه – 1992م، ص1

ب- مولده و حياته:

- في سنة (159 ه الموافق 775م) خرج إلى الدنيا في مترل بحي شعبي من أحياء البصرة وليد ذميم الخلقة اسمه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ من موالي كنانه، مات أبوه(بحر بن محبوب)وهو صبي

- كان قصير القامة، جهم الوجه لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه أي نتوئها، على أن خفة روحه و ظرف حديثه و حسن عشرته و فكاهته الطبيعة كانت تستر ذمامة خلقه، و تجعل الناس يقبلون على معاشرته للاستمتاع بأحاديثه.

- و لّما مات أبوه اضطرالجاحظ إلى ترك الكتاب ليبيع السمك والخبز متجولا في أحياء البصرة، بجوار نهر سيحان أو منتحيا ركنا من السوق و لكن الصبي عمرما نسي الكتّاب الذي انتزعته منه عوادي الدهر و ما نسي ذلك العالم الرحب، عالم المعرفة ... فكثيرا ما كان ينتزع نفسه من عالم البيع و يذهب إلى المساجد و الدور ليستمع إلى الأحاديث و المناظرات التي كانت تدور هناك. و كان في المساء إذا توفر له المال يكتري دكاكين الوراقين على رواية ياقوت في "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" فيبيت فيها مرور الليل يقرأ و ينسخ ما توفر.[1]

- و مع الأيام أصبح الصبي شابا يفهم تماما ما يسمع و فيما يقرأ، وما أن أصبح للشاب نصيب مقبول من الثقافة حتى قصد العاصمة بغداد، ثم كانت له وجهات نظر اختلفت عن مفاهيم المعتزلة فظهرت له فرقة سميت بلقبه: الجاحظية.

و الذي لاشك فيه أن الشاب عمرو بن محبوب لم يكن راضيا بلقبه الذي أصبح اسما له يعرف به ويعرف عنه، و لا بأن ينسب هؤلاء الأنصار إلى هذا اللقب.

[1]- دراسات في الأدب العربي- كاظم حطيط، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د. ط) (د. ت) ص 26.

و لكن عمرا كان أذكى من أن يفسح للغير مجالا للعبث به فلا يتردد من التفكه بذمامته فيروي لنا ياقوت في " إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" على لسانه (قصة مع امرأتين) (أخجلتاه) إذ يقول عمرو بن محبوب الجاحظ:

" رأيت إحداهما في العسكر (و هو موضع في سامراء) و كانت طويلة القامة و كنت على طعام، فأردت أن أمازحها فقلت: انزلي كلي معنا، فقالت: اصعد أنت حتى ترى الدنيا، و أما الأخرى فإنها أتتني و أنا على باب داري فقالت: لي إليك حاجة و أنا أريد أن تمشي معي، فقمت معها إلى أن أتت بي إلى صائغ يهودي، فقالت له: مثل هذا، و انصرفت، فسألت الصائغ عن قولها فقال: إنها أتت بفص و أمرتني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت يا سيدتي: "ما رأيت شيطان" فأتت بك.[1]

– وإذا كان الجاحظ يعجب برشاقة و سهولة مخرج اسمه الأصلي، عمرو بن محبوب، و ينقم أو يتفكه على ذمامته، مصدر لقبه الجاحظ! فإن هذا لم يمنعه من أن يشفق على نفسه و مستقبله من أن يظهر ما يكتبه تحت اسمه الأصلي، فينسب مؤلفاته إلى الأولى المعروفين أمثال عبد الله بن المقفع و سهل بن هارون.

ثم لم يلبث أن وجد أن الوقت قد حان لينشر باسمه ما يكتبه حتى جاء وقت لمع فيه اسمه في دنيا الثقافة و طارت شهرته حتى بلغت قصر الخليفة المأمون ... و يبدوا أن المأمون قد قرأ كتاب "الإمامة" للجاحظ فأعجب بمؤلفه و أقامه على ديوان الرسائل.

– وهكذا لم يقع ما خشيه سهل بن هارون عندما قال، و قد وصله خبر إقامة الجاحظ على ديوان الرسائل. "إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم هذا الكتاب"[2]

[1]: البخلاء، الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1977 ص 07.
[2]: الجاحظ حياته و آثاره، طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د. ت) ص 15.

و مرت الأيام و تولى الوزارة رجل دولة و علم طالما أعجب به الجاحظ، ألا و هو محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات،فاتصل به الجاحظ و نال عطاياه مما أتاح له السفر إلى بلاد الشام ومصر

- وفي ذلك الحين فإن الجاحظ قد أنجز كتابه الموسوعي "الحيوان" بعد سنين طويلة من الدرس والبحث والمقارنة والاستنباط، منتقد بين استشارة و سؤال أهل العلم و الخبرة و بين التجربة المباشرة إلى دراسة آثار السابقين و المعاصرين أمثال الأصمعي و أبي زيد الأنصاري وبشر بن المعتمر، إلى أخبار الهواة، و ترجمة ابن البطريق لمقالات أرسطو في الحيوان إلى كتابات إقليمون و جالينوس العلمية .إن أساطير و أخبار الحيوان عند أمم الشرق عامة و عند الفرس خاصة و إذا كان الجاحظ قد أراد الكتابة عن طبائع الحيوان، فإنه قد خرج منها إلى استطرادات اجتماعية و أدبية واسعة، حيث القصص والأشعارو الطرف والنوادرالذكية الحافلة بالفكاهة، المشعة بالسخرية، وكان لابد للجاحظ من أن يهدي كتاب الحيوان إلى الوزير الزيات.

و لكن الأيام لم تلبث أن انقلبت على ابن الزيات، فما أن تولى المتوكل الخلافة حتى اشتد نفوذ القاضي محمد ابن أبي داود و أسقط الوزير بن الزيات. و دشن به تنوره الذي صنعه لإهلاك خصومه وكاد الجاحظ أن يلحق بابن الزيات و يكون على حد تمثله "ثاني إثنين إذ هما في التنور" لولا أن أسعفته البديهة و حالفه الحظ، فوثق القاضي بظرفه دون أن يثق بولائه.

و لزم الجاحظ صاحبه الجديد ابن أبي داود، و قدم له كتاب "البيان و التبيين" الذي عرض فيه إلى علوم البلاغة ممزوجة بالآداب و التاريخ و النوادر.[1]

و عندما أصيب القاضي بن أبي داود بالفالج لزم الجاحظ ابنه الوليد إلى أن صرف عن القضاء، و جاء خلفه الفتح بن خاقان فلزمه الجاحظ أيضا و قدم له بعض رسائله و كتبه.

[1]: مع بخلاء الجاحظ، د. فاروق سعد، ص 17- 18.

و لكن الشيخوخة حملت الجاحظ على ترك بغداد عائدا إلى مسقط رأسه البصرة ليقضي فيها بقية عمره مريضا.

– لكن المرض لم يحل بين الجاحظ و بين المطالعة والبحث ومتابعة التأليف واستقبال و لقاء الأدباء الذين كانوا يفدون إليه من كل حدب وصوب.[1]

– توفي الجاحظ سنة 225ه/ 868م من الفالج و النقرس، أو صرعته الكتب التي انهارت و سقطت فوق رأسه.[2]

ج- شخصيته:

– لدى الجاحظ شخصية تعددت مواهبها، وتنوعت طباعها لتعزز معطياتها، و قد كان لاختلاف ظروف عيشه أثره في بناءه ذاته، و صنع حياته. فهو يحب الحياة، فيطلبها في كل شيء، و يفي في ذلك بدقة في الحس و عمق في الذكاء، و رهافة في الذوق، و هو يحب المجتمع فيريده أفضل و أسمى، و يغوص فيه ليروي منه معرفة و تجربة و آمالا، و أبعادا و مسؤولية، و تقوى عنده نزعة العقل. فتميل إلى الاعتزال، و يكون عقله مصاحبه و دليله، با إمامه و رائده و يشرح صدره لبيئته، لمدينة البصرة ثم لبغداد و العراق، و غيره من حواضر الخلافة و يشفع أفقه، و تسمو نفسه فيبتعد بذلك عن التزمت و التعصب و جمود الفكر، و سأم الوجود، و يجد ساعة يشاء و يضحك ساعة يشاء.

– وقد تحدته الحياة فولد في بيت لا أثر للعلم و الجاه فيه، و يرد عن التحدي ليجني من العلم حتى لا يضارعه فيه أحد من معاصريه. ويعمل على طلب الجاه فيسطع نجمة حتى يخافه كتاب عصره، و ينمي صلته بالخلفاء و الوزراء و الأعيان، و يطلب الحقيقة، و يعظم في طلبه ويظل يطلبها. لتكون أمام شخصية خصبة معطاء، رحبة الأفق اجتماعية المنطلق، رائدة في أكثر

[1]: المرجع السابق، ص 18.
[2]: الجاحظ و مجتمع عصره- جميل جبر- المطبعة الكاثوليكية- بيروت (د. ط) 1958 ص 4.

من فن وعلم واتجاه وإذا بالجاحظ شخصية مجتمعة في الأدب و الثقافة.[1]

د- ثقافته:

لم ينس عمر الكتاب الذي انتزعته من عوادي الدهر، و ما نسني ذلك العالم الرحب، عالم المعرفة، فكثيرا ما كان ينتزع نفسه من عالم البيع ويذهب إلى المساجد و الدور ليستمع إلى الأحاديث و المناظرات التي كانت تدور هناك.

- و لمّا أصبح الصبي شابا، قصد العاصمة بغداد، فاطلع على كل العلوم المعرفة في عصره، فاتسعت ثقافته و اجتمعت له علوم الدين والطبيعيات و الإجتماع و التاريخ و الجغرافية، و السياسة والفلك والحيوان و النبات و الموسيقى و الغناء، كل هذا جعل منه عالما ذا ثقافة شاملة واسعة الإطلاع،يؤلف في كل شيء، و لكنه لا يتعمق في شيء لقلة صبره و عدم تخصصه. كما أنه أخذ علم اللغة العربية وآدابها على يد أبي عبيدة صاحب "عيون الأخبار" و الأصمعي الرواية المشهورة صاحب الأصمعيات و أبي زيد الأنصاري و درس النمو على يد الأخفش و علم الكلام على يد إبراهيم بن يسار بن هاني النظام البصري.

- بالإضافة إتصاله بالثقافة العربية والثقافات غير العربية كالفارسية واليونانية و الهندية، عن طريق قراءة أعمال مترجمة أو مناقشة المترجمين أنفسهم كحنين بن إسحاق و سيبويه، توجه إلى بغداد وفيها تميز و برز، و تصدر للتدريس، و تولى ديوان الرسائل للخليفة المأمون.[2]

ه- أساتذته:

- أمّا أساتذة الجاحظ الذين تتلمذ عليهم وروى عنهم في مختلف العلوم والمعارف فهم كثيرون جدا،و معظمهم من علماء البصرة،إبّان حياته،فالجاحظ لم ينقطع عن حضور حلقاتهم، ولكن

[1]: دراسة في الأدب العربي، كاظم حطيط، ص 27- 28.
[2]: فن السخرية في أدب الجاحظ، من خلال كتاب التربيع و التدوير و انجلاء و الحيوان، رابح العوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1409 ه/ 1989 م ص 88- 89.

مترجميه يكتفون بقائمة صغيرة، منهم غالبًا ما تقتصر على العلماء إلا حلة المشهورين ومهما يكن من أمر، و بناءًا على بعض المصادر، و من أهم هؤلاء الأساتذة نذكر:

1- في ميدان علوم اللغة و الأدب و الشعر و الرواية: أبو عبيدة معمر بن المثني، و الأصمعي و أبو زيد بن أوس الأنصاري و محمد بن زياد بن الأعرابي و أبوعمروالشيباني وأبو الحسن الأخفش وعلي بن محمد المدائني.

2- في علوم الفقه و الحديث: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، ويزيد بن هارون، و الحجاج بن محمد بن حماد بن سلمة بالإضافة إلى ثمامة بن الأشرس الذي لازمه الجاحظ في بغداد.

3- في الإعتزال و علم الكلام: أبو الهذيل العلاّف و النظام و مويس بن عمران، و ضرار بن عمر والكندي و بشر بن المعتمر الهلالي وثمامة بن الأشرس النميري.وثمة علماء و مفكرون آخرون لا تقل أهميتهم عن هؤلاء والجاحظ ذاته لم يغفل عن ذكر معظمهم.[1]

د- منهجه العلمي:

1- الشك: تأثر أبو عثمان بالمعتزلة، فكان واحدا منهم و إذا بالنزعة العلمية تقوى عنده، و يكون الشك رائده في معرفة الحقيقة، و يعمل به في شتى مواضيعه العلمية و الاجتماعية ... فيشك في كثير من الأخبار عن الحيوان، و يشك في كثير من الأحاديث و تفسير المفسرين، حتى أقوال النقاد والفلاسفة و يكون في ذلك الرائد لكثير من المفكرين العرب و الأوروبيين،وهو يوجد مذهبه في الشك بقوله: "و بعد، فاعرف مواضع الشك، و حالاتها الموجبة، لتعرف بها مواضيع اليقين و الحالات الموجبة له."

1: كتاب البخلاء –الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر – ج1 . دار الكتب العلمية. (د.ط) 2005م-ص

2- المعاينة: كان للنزعة العلمية أن تنموا عند أبي عثمان فلا يكتفي بالأقوال أو الأخبار يسمعها ليؤمن بصحتها، إنما هو يشك فيها، و يندفع إلى معاينة الأشياء والأوضاع، ليرى ويسمع و يتبين الحقيقة هو بنفسه، لا بواسطة سواه، وتسمعه يقول: "و من أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول يموت بعضها من لسع بعض." ويكون شعاره الدائم حسب قوله: "إني امرؤ لا تشفيني إلا المعاينة."

3- العقلانية: لقد تجلى أثر المعتزلة في كتابات الجاحظ، وإذا العقل رائد أبي عثمان في تصديه لكثير من الإدعاءات في الدين و الاجتماع والحيوان و غيره.

- ويستطيع فضح الأكاذيب و الأباطيل و يمضي في درسه العلمي ولا سلطان عليه في كثير من الأعمال و مواضيعه لغير العقل مخلصا في ذلك لمنهجه الاعتزالي، و مفسحا المجال للفلاسفة العقلانيين بعده. (وإن الحواس لتكذب و ما الحكم).[1]

1:المصدر السابق ، ص، 41.

و قد قال في ذلك: "و لعمري إن العيون تخطئ، و إن الحواس لتكذب وما الحكم إلا للذهن و ما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل ..."[1]

4- التجريبية: لقد دفع الدرس العلمي الجاحظ إلى القيام بالاختبار والتجربة و إذا به يجري تجاربه على البعوض و الجاموس و النمل والذباب و يكون هو نفسه أحيانا الجسم الذي تقع عليه التجربة كما حدث له مع البعوض و الذباب، ثم تناوله التمر في وجبة واحدة.

- ولكن لم يكن لهذه التجربة أن يأخذ مداها المطلوب، و إلا لما كان الجاحظ وقع في غير قليل من الأخطاء، حتى إنه يعتقد بأن الذباب يتولد من تعفن الأجسام و الفساد الحادث في الإجرام و الباقلاء ..[2]

ي- آثاره:

- يعطي الجاحظ، فتتعدد مصادر العطاء لديه، و يمارس لعبة الفكر في كل مجال، و يبرز معارفه في كل حقل، و تغزر أثاره، فلم ير لمؤلفاته رواجا، أو بعد الصيت، و كان أن لجأ إلى الحيلة، فراح يوقع ما يؤلفه بأسماء أدباء مشهورين، كعبد الحميد الكاتب، و ابن المقفع وغيرهما، و إذا هو قادر على الكتابة في كل موضوع يهم مجتمعه وعصره ليضع كتاب (الحيوان)، يعطي فيه آراءه و تجاربه واختياراته

فيضع فيهم كتابا يشتمل على نوادرهم، و أخبارهم و وصف طباعهم إلى ما يقابل ذلك من نوادر الأجواد، و ميزاتهم. إلى الكلام عن الحسد والحقد، و الخبث و الاقتصاد و التوفير. و شاء الجاحظ أن يعطي آراءه وآراء الآخرين، في فن الكتابة فوضع (البيان و التبيين)، فإذا هو كتاب جامع في الأدب و الإنشاء و الخطابة و البلاغة ... و فيه نماذج من خطب النبي و

[1]- كتاب البخلاء- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، ج1، دار الكتب العلمية، (د.ط) 2005، ص 13- 14.
[2]: المرجع السابق، ص 41.

خلفائه وغيرهم من الخطباء العرب المشهورين، ويؤلف الجاحظ كتبا ورسائل عديدة في (مناقب الترك) و (المحاسن والأضداد) والحنين إلى الأوطان،و الإمامة و تهذيب الأخلاق و التبصر بالتجارة، و تتسع دائرة تأليفه، فيضع مئات الكتب التي وردت أسماء عدد منها في مقدمة كتاب (الحيوان) و له عشرات الرسائل في مواضيع شتى كالحسد والمحسود، والسودان و البيضان، والتربيع والتدوير، و العشق و النساء، و مفاخرة الجواري و الغلمان ...[1]

1: الجاحظ حياته و آثاره، طه الحاجري، ص 26-27

جان باتيست بوكلان *jeanne batiste poqlune*

الملقب موليير *Molière*.

أ: مولده وحياته:

- شهد المسرح العالمي و المسرح الفرنسي نوع خاص من مؤلفين كبار من أمثال ماريفو وبومارشيه و دوماس آلان و غيرهم، من المحدثين، لكن موليير Moliere ظل كما هو أعظم رجال الكوميديا في العالم بل و أعظم رجال الكوميديا في فرنسا على الإطلاق.

- وإذا سألت واحدًا من المثقفين أو أوساط الناس في فرنسا اليوم عن أحب الكتاب الكلاسيكيين إليه، لأجابك على الفور: أنه Moliere ذلك لأن الزمن لم يغير من مكانته شيئا، و إنما أظهره على حقيقته بعيدا عن أهل الحسد و الحقد.[1]

- ولّما كان الضحك من خواص الإنسان و طالما كانت الخطيئة والخطأ تحت أية صورة من صوره مصدرا للاشمئزاز النفوس السوية وازدرائها، و طالما كنا نرى في الإنحراف والإفتعال و النقيصة مبعثا للهزء و السخرية.فيظل موليير Molièrمقروءا ومثارا للإعجاب ويرى الكاتب الفرنسي و الناقد الكبير سانت بيف في موليير Molièrوكتاباته مثلا حيا لسعة الفهم و الوضوح والدقة والسخرية اللاذعة والرفيعة، و طيبة القلب، مما دفعه إلى ترشيحه لكي يمثل فرنسا في مؤتمر العبقريات العالمية و هو يقول "إن الأمم الأخرى لها شعائرها الذين يمكن أن تناظر لهم شاعرين راسين وكورني لكن ما من أمة في الأرض قد خرجت من أبنائها من حقق مجدا فنيا يمكن أن يثبت أمام المجد الذي حققه موليير العظيم."[2]

- موليير هو الاسم الذي اشتهر به المؤلف، الممثل مدير الفرقة حان باتست بوكلان الذي ولد في 15 يناير 1622 في قلب مدينة باريس النابضة بالحياة وكان مؤرخو سيرة الكاتب يؤكدون أنه ولد تحت أعمدة سوق "الهال" و حتى منتصف القرن التاسع عشر كان

---

[1]: من أعلام المسرح العالمي- محمد حمودة، الدار القومية للطباعة و النشر (د. ط)، (د. ت) ص 75.

*: سأل لويس الرابع عشر ملك فرنسا- الشاعر بوالو، ذات يوم من هم المؤلفون الذين برزوا في الكوميديا؟ فأجاب بوالو على الفور، وكان يقف وراءه جمع من النبلاء "مولاي – لست أعرف الا واحدا فقط وهو موليير"

[2]: من فنون الأدب المسرحية- عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت (د. ط) 1978 ص 50.

ثمة منزل في شارة لاتونيليري يحمل على واجهته تمثالا نصفيا لموليير، نقش عليه تاريخ ولادته، غيرأن الأبحاث دلت أخيرا على أن موليير ولد في شارع سانت أونوريه عند إلتقائه بطريق في أتيف، أمّا المنزل الموجود في سوق الهال فلم يشتره أبو موليير إلا في عام 1633 أي بعد 12 سنة من ولادة موليير، قضى فيه جانبا من طفولته.

- و قد أمضى جان باتست بوكلان "موليير" طفولته الأولى بين أبيه و أمه و إخوته ثم مع زوجة أبيه و إبنتيها، و كان بيته يمثل حياة البرجوازية و العصور القديمة، تلك الحياة التي صورها لنا في أروع كوميدياته.

- كان جان باتست كثيرا ما يذهب إلى السوق و يجلس في حانوت جده و يراقب كل ما يدور حوله من شتى أنواع النشاط، و كانت توجد في السوق كذلك مجموعة من الممثلين يقدمون رؤيات هزلية تهريجية.

أمّا في قنطرة بونت نيف Pont –Neuf فكانت الروايات الهزلية مستمرة ليل نهار و كان المارة أمام مسرح المهرج موندور mendorيستمتعون بمشاهدته.

- و لّما تلقى جان بوكلان وظيفة في القصر إحتال الأب لكي يهيئ لابنه جان باتست أن يخلفه في وظيفته.[1]

ومنذ ذلك الحين أصبح لزاما على هذا الفتى الذي سيخالط الملوك والنبلاء فأخرجه أبوه من المدرسة الشعبية وألحقه في أواخر عام 1636 بالقسم الخارجي بكلية كليرمونت، تلقى موليير في هذا الوسط النبيل دراسة كاملة، و تحت إشراف الآباء اليسوعيين بريه

و برز جان باتست في العلوم الإنسانية، ولما تخرج في هذه الكلية عام 1640 كان يعرف مؤلفي اللاتين معرفة وثيقة، وكان يعرف بلوط Plauteو تيرنس Térneceبنوع خاص و لم ينس هذين الكاتبين قط. و قد قبس عنها كثيرا من الأفكار و الشخصيات.

[1]: البخيل عربي، فرنسي موليير، مهني عبد الحفيظ صبرا، مراجعة و تقييم د. بسام بركة دار البحار و مكتبة الهلال، ط1، 2004، ص 04.

ولقد وافته المنية في17 فيفري 1673 بعد تقديم مسرحيته مريض الوهم Le maladeimiginaireو ذلك بعد مرض العضال.

ب- ثقافته: - لم ينس موليير الفلسفة ففي ذلك الوقت كان يختلف مع نفر من أصدقائه الأحرار على فيلسوف صاحب مدرسة إسمه جاسندي Gassendi غريم الفيلسوف Descartes، و خلال هذه الأشهر التي قضاها جان باتست في الدراسات الفلسفية اشتد شغفه به إذ ترجم أعماله إلى الشعر الفرنسي، و قد خلد إحدى قصائده في المشهد الرابع من الفصل الثاني لمسرحية "عدومجتمع" lemisanthrope.

وقد أشار جميع مؤرخي سيرة موليير إلى تعمقه في الدراسات الفلسفية و بروز أثرها في أعماله الفنية و الأدبية ...

- كان موليير يفضل المسرحيات التي كثيرا ما إصطحبه جده لمشاهدتها على مسرح الأوتيل دي بورجوني، كان يفضل تلك المسرحيات على مظاهر العظمة السائدة في القصر الملكي.

- إتفق مع نفر من أصدقائه المولعين بالمسرح أمثال نيفولا بونت فانت nicola bonnefantو جورج بينل georges pinelوغيرهم بان يشبعوا هوايتهم بالتمثيل المسرحي و في 30 من يونيه سجلوا عقدا بشركة "لمزاولة التمثيل".[1]

-هكذا كون موليير أول فرقة مسرحية له و أطلق عليها إسم "المسرح الخالد" و بدأت عملها في يناير 1944.

1:تاريخ المسرح الحديث،جنقيق بيرو،مطبعة جامعة دمشق،(د.ط)،1974،ص،98.

- ولّما بدأ المسرح الخالد بداية تعسة فلم يستطع الممثلون الجدد أن يصمدوا أمام منافسيهم في مسرح الأوتيل دي بورجوني و مسرح ماريه فقرر الممثلون أن يجربوا حظهم في الريف، و انظموا إلى فرقة تمثيلية جولة هي فرقة شال دي فرنcharles du frenne.[1]

- وكان على موليير أن يقضي إثنتي عشرة سنة قبل أن يعود إلى باريس مرة ثانية و يستقر فيها. و قد إمتلأت نفسه أثناء رحلته إلى الريف بالأفكار و الصور و الملاحظات.

- ثم عاد إلى باريس عام 1648، و كان في السادسة والثلاثين من عمره، و قد أضاف إلى قائمة مسرحياته التي مثلتها فرقته مسرحيات جديدة من تأليفه هو مثل مسرحيات "الطبيب العاشق" le docteur amoureux و"الأطباء الثلاثة المتنافسون" les troi docteur rivaux و"الطبيب المتحذلق" le docteur pedant و"جورجيوس في الحقيبة"gorgibus dans le sac* أمّا ما بقي من المسرحيات فأربع هي "غيرة الملوث" la jalousie du barbouillé و"الطبيب الطائر"le médcin volant و"الطائش"l'etourdi و "كيد المحبين"le dépit amoureux[1]

- لقد بلغ موليير الخامسة و الثلاثين من عمره، و لم يؤثر عنه أنه قد كتب شيئا. و لم يؤثر عنه منذ شبابه الأول أنه ألف قصيدة غزل أو أغنية أو أنه فوجئ ذات يوم و هو يكتب شيئا بيده. كان موليير يحفظ عن ظهر قلب مسرحيات بأكملها من تأليف سكارون Scarron وبواروبير Boisrobert. و إنها المعجزة حقا إن استطاع موليير أن يتخلص من تأثير هذين الكاتبين، و أن يصبح أسلوبه لا يدين لهما بشيء.

[1]: المرجع السابق، ص 165.

ج -أثاره:

– لقد وضع موليير أكثر من ثلاثين قطعة مسرحية تنتمي إلى معظم الأنواع الكوميدية التي كانت معروفة في زمانه، فمنها ما يندرج في المسرحيات الهزلية، و منها ما يقع في عداد الأعمال المسلية للملك و منها أخيرا ما هو من نوع الكوميديا الكبيرة.

– لقد إستقى مواضيع مسرحياته من الحياة العامة التي كان يعيشها هو و أترابه، و التي كان يعرفها من خلال مخالطته لبلاط الملك. فجاءت مجمل أعماله بمثابة كوميديا بشرية كبيرة ترسم لوحة كاملة للمجتمع الفرنسي في القرن السابع عشر، بما يتضمنه هذا المجتمع من أسياد و برجوازيين و خدم و فلاحين و غيرهم كثير.

وقد جاءت لوحاته متنوعة بتنوع المشاكل التي شغلت أبناء عصره هناك مشاكل الزواج، و الظروف التي تعيشها المرأة، و حياة الخدم والعلاقة بين الأبناء

والآباء والحريات الشخصية، والمتدينون والأطباء و التقاليد العائلية و الأعراف الاجتماعية، إلى ما هنالك.[1]

– إلا أنه لا يمكننا أن نحصر أعمال موليير في رسم المشاكل الآنية لبني عصره فهو عندما يصف عواطف بني عصره و حيلهم و عاداتهم، إنما يصف الإنسان بشكل عام و يحلل العقد و المشاكل التي تتعرض لها النفس البشرية في كل زمان و مكان، و بذلك جاءت مسرحياته لتقدم نماذج بشرية خالدة لأهم جوانب الحياة النفسية من الغيرة، و البخل إلى الإحتيال و الأنانية و الإباحية.

[1]: نماذج من المسرح الأوروبي الحديث، عبد الكريم جدري، إتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2002، ص 119.

– لقد وقف موليير بالمرصاد لكل ما كان يلف عصره من فساد واحتمال و كذب، فأضحك الناس من عادات النساء، و البخلاء والدجالين و المهووسين، و ذلك بطريقة أثارت ضده شرائح عديدة من مجتمعه فظهر من كان يناهضه لصراحته، أو لحريته في التعبير أو للقواعد الفنية في أعماله.

– إلاّ أنهم لم يستطيعوا الإنتصار عليه، لأنه كان يسعى لنيل الإعجاب من طبقتين من المجتمع، الملك و الطبقة الشعبية و قد وفق في ذلك.

– لقد إستطاع موليير أن يثير الإعجاب و إضحاك الناس بوسائل فنية عديدة، كاستعمال الحركات الهزلية، و الكلمات المضحكة والمواقف الساخرة و الشخصيات الغريبة، و العادات المتناقضة فاستنفد كل ما يقدمه المسرح من استراتيجيات فنية تضحك و تسلي وتعلم والواقع أنه يضحك و يعلم في الوقت نفسه فهو يروم من خلال مسرحياته إلى تعليم المشاهدين من خلال إضحاكهم فهو يقول:" أن واجب الكوميديا أن تهذب الناس من خلال تسليتهم".[1]

[1]: المرجع السابق، ص 120.

- ترك الجاحظ كتبا كثيرة أربى عددها على المائة، فيها مختلف الأغراض من أدب وشعر وديانات وعقائد وفلسفة وسياسة وإقتصاد وغير ذلك من مواضيع تاريخية و إجتماعية و جغرافية و رياضية وطبيعية.[1]

- ومن أشهر هذه الكتب "كتاب البخلاء" و هو كتاب صور فيه الجاحظ البخلاء و هو لم يأخذ بخلائه من بطون التواريخ بل أخذهم من بيئته و خص بالذكر منهم بخلاء البصرة بلده، وبخلاء خرسان ولاسيما عاصمتها مرو، و سمي المبخلين غير متحرّج، و قد صور بخلاءه تصويرا واقعيا حسيا، يمزج في تصويره إياهم الجد بالعبث و النقد للعادات والأخلاق بالفكاهة، فأبرز لنا حركاتهم و نظراتهم القلقة أو المطمئنة و نزواتهم النفسية و فضح أسرارهم و خفايا منازلهم، وأطلعنا على مختلف أحاديثهم أكان ذلك في شؤونهم الخاصة أو في شؤونهم العامة، و أرانا نفسياتهم و أحوالهم جميعا، و أضحكنا بتصويره طرقهم في الحرص و الاقتصاد و حيلهم في صرف الضيوف عن الطعام ولكنه لا يكرّهنا لهم لأنه لا يترك لهم أثر سيئا في نفوسنا، خصوصا أنه جعل خفة روحه و نكتته على لسان بخيله، فإذا حرص بخيله على ماله لايعتدي على حق غيره و إذا بخل على الناس لا يبخل على نفسه في الغالب، إلا لعذر، و لهذا كان بخلاءه من "طياب البخلاء" كما كان يسميهم.[2]

- والذي يمعن في هذا المقام هو النظر في قصص الجاحظ و التي هي عبارة عن تمثيليات قصيرة هزلية، إن الجاحظ لم يقصد الفن المسرحي، لأنه لم يكن يعرفه و لكن عناصر المسرحية الهزلية، جاءت عفوا في قصصه بثتها فيه فكاهته و تهكّمه و سخره.

- وتبين هذه العناصر في جمال الحوارو خفة روحه، و في مقدرة الجاحظ على التكلم بلسان كل إنسان حتى بلسان العامة و الحمقى و بما في مواضيعه من روح الجدل و في تدقيقه

[1]: البخلاء، الجاحظ أبو عثمان، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1971، ص 03.
[2] : البخلاء، الجاحظ أبو عثمان، دار بيروت، بيروت (د- ط)، 1980، ص 05.

من تصوير للبخل، ومنجده في أشخاصه من حركة و حياة و وصف نفسي و روح فكاهته وسخرية.[1]

- ويتميز كتاب البخلاء أيضا بأنه كتاب إنساني، و إن لم يحط بكل نواحي الإنسانية، فالجاحظ عالج فيه أحوال الإنسان و درس نفسيته وأخلاقه و غرائزه و عاداته، و جعل أشخاصه إنسانيين يعيشوا في كل زمان و مكان.[2]

محتوى كتاب البخلاء:

- إستعرض الجاحظ في مقدمة الكتاب أمثلة صديقه الذي أعجب بكتاب اللصوص و قد طرح هذه الأسئلة المتعلقة بالبخلاء، طلبا للمعرفة و تحصيل الفائدة و قد تعرض في مقدمته للبكاء و الضحك فأشاد بهذا الأخير و دافع عنه، و بين موقعه من النفس و فصل خصاله عند العرب، و بين كلا من موضعي الضحك و المزاح ثم أوضح طريقته في كتابة الأحاديث، و هي تدل في جانب منها على كتم بعض الأسماء حذرا من الناس و شرهم، و في الناس شر، و مهما كان فإن الجاحظ في حديثه عن البخل و البخلاء، سواء من ذكر أسماءهم أو من تغاضض عن ذكر أسمائهم قد أظهر طاقته الجدلية و براعته في صوغ الأدلة و الأقيسة المنطقية، و لاسيما في مجال مدح الشيء و ذمه.

- ومن هذه المقدمة إنتقل إلى تسجيل رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد، و إبن عمه من آل زياد و قيل من آل راهبون حيث ذموا مذهبه في البخل، و تتبعوا كلامه في الكتب و أكبر الظن أن يكون قصده العرب، لا أبناء عمه الحقيقيين لأنه يحتج فيها للبخل و ينصره على الكرم و لهذا قيل أنه كتبها شعوبية على العرب، لهدم فضيلة الكرم عندهم، معتمدا على مقدرته الجدلية و براعته في الإستدلال و صوغ الحجج المنطقية، مدعما إياها بالأحاديث النبوية و أقوال الصحابة والتابعين، و في الحقيقة أن ما جاء به عن هؤلاء يدل على زهادتهم في الدنيا

[1]: البخلاء، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص 04.
[2]: البخلاء، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، دار صادر، بيروت، (د. ط) (د. ت)، ص 05.

—و صغر متاعها عندهم- فالرسول عليه الصلاة و السلام والقرآن و الصحابة، يدعون إلى الجود.[1]

– ومهما كان فإن الرسالة تدل على سعة ثقافته و قدرته المنطقية الواضحة في إيراد الأقسام المتقابلة إيرادا مستقصيا و في إستخدام الأقيسة و تصحيح الأدلة بكل دقة و عناية و في غضون ذلك تلقانا غزارة أفكاره و كأنها مستمدة من معين لا ينضب و لا يغيض، كل ذلك فضلا عن إلحاحه على المعاني حتى لكأنه يريد حصرها و الإحاطة بدقائقها في سبيل إغلاق باب الإنفاق و فتح باب الشح على مصراعيه.[2]

– و ممّا جاء في رسالته قوله: "و عبتموني حين زعمت أني أقدم المال على العلم، لأن المال به يغاث العالم، و به تقوم النفوس قبل تعرف فضيلة العلم." و بمثل هذا يتابع كلامه في رسالته، و قد ضمنها نصائح كقوله: "و قلت لكم عند إشفاقي عليكم أني للغني سكرا وإن للمال لتروة، فمن لم يحفظ الفن من سكر الغنى فقد أضاعه و من لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله." و إلى جانب هذه النصائح فإن الرسالة لم تخل من أقوال مأثورة منها قوله: "قال زيد بن جبلة: ليس أحد أفقر من غني أو من الفقر، و سكر الغنى أشد من سكر الخمر وبمثل هذا يعزز مذهبه في البخل، و قد ختم رسالته بقوله: "فلستم علي تريدون و لا رأي تفندون فقدموا النظر قبل العزم، و تذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا ما لكم، و السلام."[3]

– و بعد هذا إنتقل الجاحظ إلى قصص أهل خرسان، و خص منهم أهل مرو بالذكر لشهرتهم بالبخل فهو في أصل طباعهم و في أساس تركيبهم، حتى أن ديكهم تسلب الحب من مناقير الدجاج وهي قصة رواها عن ثمامة بن أشرس.

---

[1]. فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع و التدوير و البخلاء و الحيوان، رابح العوبي، ديوان المطبوعات الجامعية ط1، 1409ه/ 1989م ، ص 188.

[2]. المرجع السابق، ص 189.

[3]. مع بخلاء الجاحظ، د. فاروق سعد، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط6، 1413ه/ 1992، ص 18.

قال ثمامة*[1]: لم أر الديك في بلدة قط إلا و هو لافط، يأخذ الحب بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة، إلاّ ديكة مرو*[2] ، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من حب.

قال: فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد و في جواهر الماء، فمن ثم عم جميع حيوانهم.

- و حتى أن المروزي يقول لزائره و جليسه إذا طال جلوسه: "تغذيت اليوم؟" فإن قال نعم قال: لولا أنك تغذيت لسقيتك خمسة أقداح أفلا يصير في يده على الوجهين قليل و لا كثير و من خلال هذا و غيره يطلعنا الجاحظ على حقيقة بخل أهل خراسان و هم من غير العرب.[3]

- و قد إنتقل من هذا إلى قصة أهل البصرة من المسجديين*[4] فسجل قصصا دالة على أن البخل عندهم كالنسب يجمع على التحاب، و أنهم جعلوا منه فنا في الإقتصاد، حتى صار كل منهم يحرص على الإستفادة من كل شيء حتى و لو كان تافها.

فبخيل الجاحظ يستفيد من كل شيء حتى من المرض فالثوري عندما حم هو و عياله و خادمه، فلم يقدروا مع شدة الحمّى على أكل الخبز "وجد في ذلك خير و بركة، فقد ربح كيلة تلك الأيام من الدقيق، و كان لا يبالي أن يحم هو و أهله أبدا بعد أن يستفضل كفايتهم من الدقيق ..."!

قال الخليل: " حمّ الثوري، و حمّ عياله و خادمه، فلم يقدروا مع شدة الحمّى على أكل الخبز فربح كيلة تلك الأيام من الدقيق، ففرح بذلك و قال: لو كان مترلي سوق الأهواز أو

*[1]: ثمامة: هو ابن أشرس النميري كان أحد زعماء المعتزلة
*[2]: مرو: مدينة من مدن خراسان الكبرى.
[3]: البخلاء، الجاحظ أبو عثمان، ص 25- 46.
*[4]: المسجديين: هو المسجد الذي كانوا البخلاء يجتمعون فيه يتذاكرون الإصلاح و طرق البخل.

نطاة خيبر[*1] أو وادي الجحفة[*2]، لرجوت أن أستفضل كل سنة مائة دينار، فكان لا يبالي أن يحمّ هو و عياله أبدا، بعد أن يستفضل كفايتهم من الدقيق"[3]

- و قد إستوحوا في هذا السبيل أفكارا قلما تخطر على البال غيرهم ممن لا يذهبون مذهبهم و من ثم كانت نظراتهم إلى بيوت الأموال نظرة خاصة فهي عبارة عن درهم إلى درهم و إن التهاون في القليل منها يجر إلى تضييع الكثير و هذا ما يجعلهم يجمعون النظر إلى العمل و يستقصون الفائدة في كل أمر يخصهم حتى سيطر البخل على نفوسهم و تغلغل الاقتصاد في حياتهم و جعلوا من ذلك دستورا فيما بينهم و بين غيرهم.[4]

- والبخيل بخيل على كل شيء، فهو بخيل على نفسه، و بخيل على غيره، و بخيل حتى في شراء الملابس و تغييرها فليلى الناعطية صاحبة الغالية من الشيعة، فإنها مازالت ترقع قميصا لها و تلبسه، حتى صار القميص الرّقاع، و ذهب القميص الأول و رقّعت[*5] كساءها .

سمعت قول الشاعر :

ألبسْ قميصك ما إهتديت لجيبه فإذا أصلك جيبه فاستبدل فقالت: إني إذا لخرقاء[*6]، أنا و الله أحوص[*7] الفتق و فتق الفتق و أرقع الخرق و خرق الخرق.[8]

- و يبدوا ممّا سلف أن البخلاء جعلوا من المأكل أو بالأحرى كل ماله علاقة بالتغذية عدوا لسياستهم الإقتصادية التي تنبني على الشح و التقتير في الإسراف على ملذات البطن و عشق البخيل ليس يجاوز معدته، تعشق أبو القماقم واحدة فلم يزل يتبعها، و يبكي بين يديها، حتى رحمته، و كانت مكثرة، و كان مقلا فاستهداها هريسة، و قال أنتم أحدق بها، فلمّا كان

*1: نطاة خيبر: حصن بها، و خيبر: ولاية ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام.
*2: الجحفة: قرية على طريق المدينة من مكة.
3: المصدر السابق، ص 33.
4: فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع و التدوير و البخلاء و الحيوان، ص 190.
*5: رقعت: أصلحت
*6: الخرقاء: التي لا تحسن عملها
*7: أحوص: أخيط
8: مع بخلاء الجاحظ، د. فاروق سعد، ص 86.

يعد أيام تشهى عليها رؤوسا، فلما كان بعد قليل طلب منها خيْسة*[1]، فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفيشيلة*[2]، قالت المرأة: رأيت عشق الناس يكون في القلب و في الكبد و في الأحشاء، و عشقك أتت ليس يجاوز معدتك.[3]

- يعتبر المال هو محرك الطمع لدى البخلاء، و هاجسهم في الحياة فهم يفعلون المستحيل من أجل حفظه و عدم ضياعه من جهة كما يفعلون المستحيل للحصول عليه من جهة ثانية، فقصة زبيدة بن حميد الصيرفي*[4] في رد السلفة أو الدين، فإنه إستلف من بقال كان على باب داره درهمين و قيراطا، فلما قضاه بعد ستة أشهر، قضاه درهمين و ثلاث حبات شعير، فاغتاظ البّقال و قال: سبحان الله، أنت رب مائة ألف دينار، و أنا بقال لا أملك مائة فلس، و إنما أعيش بكدي و باستفضال الحبة و الحبتين صاح على بابك جمّال و حمّال و لم يحضرك شيء، و غاب وكيلك فنقدتُ عنك درهمين و أربع شعيرات، فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين و ثلاث شعيرات.

فقال زبيدةُ: يا مجنون أسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء و ثلاث شعيرات شتوية ندية أرزن*[5] من أربع شعيرات يابسة صيفية و ما أشك أن معك فضلا*[6].

- ثم عاد الجاحظ إلى الطرف و قصص البخلاء، كقصة أبي جعفر الطرسوسي، و مبالغته في التقتير، و قد علق عليه بقوله: "و هذا و شبهه أنما يطيب إذا رأيت الحكاية بعينيك، لأن الكتاب لا يصور لك كل شيء و لا يأتي لك إلى كنهه و على حدوده و حقائقه."[7]

و من قصص البخلاء نذكر قصة الخزامي الذي كان أبخل من برأ الله و أطيب من برأ الله، ينصر البخل و يحتج له و يدعوا إليه و كان يقول: "إن من أسباب إفلاس المرء، طمع

---

*[1]: حيسة.
*[2]: طفيشيلة: نوع من المرق
[3]: المرجع نفسه، ص 93.
*[4]: زبيدة بن حميد الصّيرفي: هو أحد كبار صيارفة البصرة.
*[5]: أرزن: أثقل
*[6]: الفضل: الزيادة
[7]: فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع و التدوير و البخلاء و الحيوان، ص 112- 113.

الناس فيه"، و أن في قلوبهم بخيل تثبيت لإقامة المال في ملكة و أن "في قولهم سخي اليم في تضييع و حمد، و المال زاهر نافع مكرم لأهله معز، و الحمد ريح و سخرية، و استماعك له ضعف و فسولة ...

– و قد ضمن الجاحظ هذه القصة شرحه لكلام أبي فاتك و من هذا ينتقل إلى قصص الكندي حريصا على المال، حتى أنه، من شدة حرصه، قال: "إنما المال لمن حفظه، و إنما الغنى لمن تمسك به، و لحفظ المال بنيت الحيطان، و غلقت الأبواب و اتخذت الصناديق، و عملت الأقفال، و نقشت الرشوم و الخواتيم، و تعلم الحساب و الكتاب، ... فالمال لمن حفظه، و الحسرة لمن أتلفه، و إنفاقه هو إتلافه و إن حسنتموه بهذا الاسم، و زينتموه بهذا اللقب".

و يأتي بعد ذلك إلا أن يسجل رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي في ذم البخل و مدح الجود، و هي بليغة فخمة العبارات زاخرة بالأدلة و الأقوال المأثورة، فضلا عن الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، و بعد فما كاد يأتي على نهايتها و يمسح يراعه من تجبيرها حتى طالعنا برسالة أخرى هي ردا من التوأم الثقفي دفاعا عن البخل.[1]

رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن جلوسك إلى الأصمعي، و عَجَلَكَ بسهل بن هارون[2*]، و استرجاحك إسماعيلَ بن غزوان[3*] و طعنك على مَوَيْس بن عمران[4*] و خُلطتك[5*] بابن مشارك، و اختلافَكَ إلى ابن التوأم[6*]، و إكثاركَ من ذكر المال و إصلاحه و القيان عليه و اصطناعه، و إطنابك و صيف الترويج و التثمير و حسن التعهد و التوفير، دليل على خبيء سوء، و شاهد على عيب و دبر[7*] بعد أن كنت تستثقل ذكرهم، و تستشنع فعلهم، و تتعجب من مذهبهم و

[1]: البخلاء، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط) 2005 م، ص 05.
[2*]: سهل بن هارون: هو أبو عمرو سهل بن هارون أحد بلغاء كتاب العصر العباسي له كتاب في البخل.
[3*]: ابن غزوان: هو إسماعيل بن غزوان، أحد المرميين بالبخل.
[4*]: مويس بن عمران: معتزلي من أصحاب النظام.
[5*]: الخلطة: العشرة
[6*]: ابن التوأم الرفاشي: كان من البخلاء من ذوي الفلسفة و الرأي.
[7*]: الدبر: إنهاء الأمر إلى فساد

تُسرف في ذمهم، و ليس يُلْهِجُ بذكر الجَمْعِ إلا من قد لَزَم على الجَمْعِ[1*] و لا يأنس بالبخلاء إلا المستوحشُ من الأسخياء.[2]

والرسالتين تنطويان على أدلة قوية ... و حجج محكمة مع جودة المدخل و حسن المخرج، و قوة الأفحام و براعة الألمام- و هذا من نزعة الجاحظ الجدلية و سعة ثقافته و تمكنه من زمام المناظرة، و قدرته على مدح الشيء و ذمه في الوقت نفسه، و ذلك ما يجعلنا نقر بأن الرسالتين من إنشاءه- لأن وجه الشبه بين أسلوبه و أسلوبهما واحد، و لأن روحه الفنية و نزعته العقلية غالبة على أسلوبها غلبتها على أسلوب الرسالة التي وضعها على لسان سهل بن هارون.

و هذا المنحنى الفني في وضع الأحاديث و توليد القصص المفتنة و الرسائل الطويلة، اتجاه ظاهر في نزعة الجاحظ الأدبية منذ أن بدأ عهده بالكتابة و التأليف.

فالجاحظ على علم و خبرة بفن التوليد يعرف أين يكون مجراه حسنا قول المفعول، و أين يكون باردا فاتر التأثير لا يفي بحس الفائدة، و من هنا يكون الجاحظ قد إنتحى منحى التوليد، و لقد شاع هذا الوضع الفني في عصره عن الرواة من أمثال الأصمعي و الهيثم بن عدى نتيجة ظروف مختلفة و نزعات متباينة و عوامل نفعية ذاتية، حملت هؤلاء على الكذب و الإنتحال لكسب المال، و الظهور على الخصوم و المنافسين و لقد كان للجاحظ خصوم و منافسين و حساد ينكرون عليه فنه و إبداعه، حيث أقر بأنه كان يكتب الكتاب ثم ينسبه إلى غيره ممن تقدمه عصره من مؤلفي الكتب مثل ابن المقفع و الخليل و سلم صاحب بيت الحكمة و يحي بن خالد و من أشبههم.[1]

---

*1: الجمع: أي جمع المال

1 :رسائل الجاحظ،الجاحظ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت،لبنان،،ص،1841991

- تتمثل خطة الجاحظ في تأليف كتاب البخلاء فيما يلي:

1- ما كان في الناس و ما يجوز أن يكون فيهم مثله، أو حجة أو طريفة.

2- عرض القصص و الأحاديث الطويلة و المراوحة فيما بينها بالطرف و النوادر القصيرة، حرصا على نشاط القارئ و إبقاء لرغبته، لأن الكثير يثقل النفوس و لو كان أنفع و أرد لأن النفوس تحن إلى الطرائف و تشغف بالنوادر و تميل إلى قصار الأحاديث.

3- عرض احتجاجات الأشحاء و نوادر البخلاء عرض مفرق في قصصهم و عرضا مجملا في احتجاجاتهم، و أوضح مقاصدهم و كشف عن حقيقة فلسفتهم للمعيشة و الأشياء و ذلك ما يستفاد من قول الجاحظ طلب منه أن يفيده فيما يتعلق بالبخلاء قال:

فأما ما سألت من احتجاج الأشحاء، و نوادر أحاديث البخلاء، فسأوجدك ذلك في قصصهم –إن شاء الله– مفرقا و في احتجاجاتهم مجملا، فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندي دون أن أنتهي إلى من أخبارهم على وجهها. و على أن الكتاب يصير أقصر و يصير العارُ فيه أقل.[1]

4- الميل إلى الإيجار ة الإطناب، و لكل منهما مقام و لكن غلبة الأول أشد حتى أنه قد يصير في بعض الجمل أبهاها، مما يدعونا للتريث لاستجلاء المقصد و حمل ذلك على مختلف المعاني بسبب تشابك الضمائر ذات المراجع المبعثرة مما يعطل الانسجام –أحيانا– و يشوه الذهن و ليس من الشك أن يكون ذلك عن قصد، فالجاحظ نفسه يشير إلى ذلك بقوله: "و إن وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب و لفظا معدولا عن جهته فاعلموا أنا إنما تركنا

[1]- فن السخرية في أدب الجاحظ،د.فاروق سعد،ص66

ذلك.لأن الأغراب يبغض هذا الباب و يخرجه،[1] عن حدة، إلا أن أحكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء و أشحاء العلماء".

الواقعية و هي أبرز ظاهرة كتابية في كتاب البخلاء، لأن الجاحظ قد صرح فيه بأنه قد سجل أحاديث أصحابه و ما رأى بعينيه و منها كانت الواقعية بارزة في إطارها الزماني و المكاني و في الأول نجد بعدين البعد العام و يتضمن عصر الجاحظ، و البعد الخاص و يتضمن فترة كل حادثة، كوقت الظهر أو وقت الغروب أو الليل مثلا، و في الثاني نجد أيضا البعدين نفسهما، و نعني بالأول الإطار الجغرافي الذي يوجد فيه مسرح الحادثة، كالمحلة أو القرية أو المدينة أما الثاني فنعني به مسرح الحادثة، كالمسجد أو الغرفة أو السفينة أو البستان، و على هذا الأساس كانت لكل صورة في الكتاب ميزتها التي تعكس الحياة الواقعية بكل معانيها، و مظاهرها، سواء في الجانب المتعلق بالعادات و التقاليد أو في الجانب المتعلق بالهيئات أو الحركات أو في الجانب المتصل بالتعبير أي نوع الكلمات أو الحوار، أو الصيغ المطابقة لما هي عليه الحياة، و من هنا كانت الطبيعة.

بالمعنى المذهبي الفني naturalismeفي شخصيات و نماذج كتاب البخلاء، فالأشخاص حقيقيون، يتعاطون مهنا متباينة، نعرفها من خلال الألفاظ التي تأتي على ألسنتهم، و أغلبهم من المثقفين أو من المتعاقلين.

و قد ضمن الجاحظ طريقته فنونا من الجدل تشعرنا بقوة العارضة و رسوخ قدمه في ميدان الفلسفة، و علو كعبه في مجال المنطق و علوم الأوائل و هذا ما يجعل من كتابه ليس مجرد قصص و نوادر فحسب بل أراء أيضا في البخل و الاقتصاد و أسلوب المعيشة، قد تكون أحيانا شادة و أحيانا سخيفة، و لكنها في جميع أحوالها مدعمة بالبراهين و الحجج التي تموه الباطل حتى يعود كالحق و تستر الحق حتى يرقد كالباطل.[2]

[1]: المجموعة الكاملة مج 16، طه حسين- دار الكتاب اللبنانية، بيروت، ط1، 1981، ص 286- 287.
[2]: المصدر السابق، ص 288، 289.

و الجاحظ و هو يستعرض قصص البخلاء، لا يكلف نفسه جهدا لأنه يصور ما هو موجود في بيئته و عشيرته و حلفائه و خلصائه و غيرهم من البصريين و البغداديين أو ممن سمع عنهم أو رويت له أخبارهم في البخل و هذا هبهم في الجمع و المنع.

و تصويره لذلك يصوغه في قالب متين السبك، سليم الرصف، مرضع بأسلوب سلس اللفظ عذب التنسيق بعيدا عن التنميق البياني و التزويق اللفظي، و قد جاءت حملة التصويرية وجيزة سريعة، متدفقة التعبير، ملائمة لمزاحه و دهائه و قوة بيانه و دقة سخره الهادي المرير- لدرجة أن هذه الجمل التصويرية تبعث الحياة قشيبة في واقعيتها تامة في أجوائها، دقيقة الملاحظة و قوة الإدراك و عمق الإحساس كذلك إستعماله للتعابير الواقعية و اللهجات الدارجة و ما هذا إلا لزيادة الواقعية الحقيقية و لإثارتها، و عنايته بانتقاء الألفاظ المستوفية للمراد، و خاصة في أثناء سرد الحوار الذي يشعرك بان أبطاله مناضلون أحياء، جادون أو هازئون، يدركون فلسفة المعيشة و حقيقة الحياة إدراكا قد يكون عجيبا في بعض الأحيان و لكن لا عجب في ذلك، فقد أراده لهم و من ثم أرسلهم يعبرون عن شعوره و أفكاره كما شاء و كما رأى الحياة بحسنها و بقبحها، حتى انعكست كما هي في تعابيره.[1]

[1]: المصدر السابق، ص 291.

الفصل الثاني: دراسة الكتابين

- إحتل كتاب البخلاء مكانة بارزة في أدبنا العربي، نال نفس الشيء في الآداب العالمية، و ذلك لتجاوزه مظاهر الإنسان إلى الإنسان في ذاته، و هو يحيط بمواضيع نفسية اجتماعية لا تختص ببيئة دون بيئة، و لا بعصر دون عصر، و يتحدث أحاديث النفس الإنسانية في مختلف حالاتها في شحها و كرمها، في ضيقها و انبساطها، و تسطع الأحاديث بطابعها المسرحي، فتكون نوادر و أمثلة لا يتطرق إليها الزوال بل معالم مسرح عربي رائد.

و تتجلى قيمة كتاب البخلاء في خصائصه الاجتماعية و التاريخية و الأدبية و الفنية التالية:

الخاصية الاجتماعية:

- لقد عمل أبو عثمان على تقديم عدد من البخلاء في عصره، و ما سبقه من عصور و إذا هو يعرضهم في كتابه في أكثر من حالة من حالاتهم، فيذكر نوادرهم و احتجاجهم، و ما يجوز من ذلك في باب الهزل و ما يجوز منه في باب الجد، و تتضح في ذلك بعض جوانب نفوسهم، و ما لذلك من تأثير على الآخرين في مجتمعهم حتى يصل معهم إلى حافة مآسي اجتماعية كما هو الشأن مع البخيل الذي (طلق امرأته و هي أم أولاده، لأنه رآها غسلت خوانا له بماء حار، و كان يريدها أن تكتفي بمسحه). إن تأثير أولائك البخلاء يتجاوز أحيانا أسرهم إلى غيرها من فئات المجتمع.

و إذا كان الجاحظ قد تحدث عن البخل، فإنه تحدث أيضا عن الكرم و بين ما له من آثار حسنة سواء في الأسرة، أم في المجتمع.[1]

[1]: فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع و التدوير و البخلاء و الحيوان، رابح العوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1409ه/ 1989م ، ص190- 191.

الخاصية الاجتماعية:

- يعتبر كتاب البخلاء مصدرا تاريخيا خصبا لفترة هامة من تاريخ المجتمع العربي، و ذلك لما اشتمل عليه من تصوير دقيق لجوانب من الحضارة العباسية، و إذا هو يعرض للتناقض الاجتماعي في تلك الحاضرة، سواء على الصعيد القومي، أم على الصعيد الطبقي أو الفردي، و يبين كيف راحت تلك الفئة الميسورة تطمع في جمع المال و تستميت في المحافظة عليه، و إذا هي تفعل الأعاجيب لإكثاره و ادخاره، و ترى أن الحياة كل الحياة، هي في كسب المال و الحرص عليه حتى لتصل عليه في ذلك لحد إلى وضع معالم فلسفة البخل، و إذا كان كتاب البخلاء، قد فصل في عرض أحوال هذه الطبقة الجشعة، فإنه عمل على إبراز معارضتها من قبل فئات أخرى أبت أن تستسلم لشره المادة و حافظت على قيم إنسانية، متحدية بذلك كل تلك التيارات المادية الطارئة.

الخاصية الأدبية:

- إن كتاب البخلاء هو أدبي قبل كل شيء، فقد أعطاه الجاحظ ذوقه و طباعه، و حكي فيه نفسه،و إذا هو يجد و يهزل و يسخر و يتهكم و يقص و يمثل، و يقوم بكل أدوار أشخاص الكتاب فيتكلم بألسنتهم، و يصدر عن أذواقهم و طباعهم، فيلون فصوله ما شاء مطبقا في ذلك نهجه الأدبي أصدق تطبيق، و يثقف و يؤنس في وقت واحد، و هو يسبق في ذلك المسرح الكلاسيكي الفرنسي بعدة قرون، و إذا كان اختيار أشخاصه من بيئته و عصره، فإنه يتجاوز بكثير منهم دائرة زمنه و ليكونوا نماذج لكل عصر، و خاصة إذا ما صدر أولائك الأشخاص في أفعال و كلامهم عن طباعهم كخالدين يزيد، و الخزامي و الحارثي و غيرهم من البخلاء الظرفاء.[1]

و قد حدد الجاحظ تعبير في كتابه البخلاء، فقال: " و إن وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب، و لفظا معدولا عن جهته فاعلم أنما تركنا ذلك لأن الأعراب يبغض هذا

[1]: المرجع السابق، ص 192- 193.

الباب و يخرجه من حده، إلا أن أحكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء و أشحاء العلماء كسهل بن هارون و أشباهه."

و قد صدق الجاحظ في تحديده لأسلوب كتاب البخلاء فهو مخلص في التعبير أو الرواية عن أشخاصه شأنه مع الكندي و الأصمعي و يتنوع في ذلك أسلوبه حسب الأحوال و الظروف و الأوضاع و الطبقات و الأشخاص فيفصح مع الفصحاء، و يتفلسف مع المتفلسفين و ينبسط مع العوام و يهزل مع الظرفاء، و لتكون مع الفن المسرحي في أكثر خصائصه و أبعاده.

الخاصية النفسية:

- عمل الجاحظ في كتاب البخلاء على التعمق في كشف نفسية أشخاصه فإذا هو يقدمهم تقديما مسرحيا فيعدد أوضاعهم و حالاتهم كما هي الحال مع المسجدين و المروزيين و الكندي و غيرهم.

و تبدوا أمراضهم و عيوبهم النفسية كالشح و الطمع و الحسد و الجشع، و يدل الكاتب بذلك على مقدرة رائعة في استشفافه النفوس، و معرفته أعماقها و أسرارها.[1]

خصائص كتاب البخلاء:

- يستخلص مما سبق أن الكاتب ذو منفعة كبيرة، نستمدها من القيم التي انطوى عليها هذا الكتاب وخاصة ما تعلق منها بالقيمة الفكرية التي حفلت بكثير من الفوائد، في حقول متباعدة، كحقل الاقتصاد والاجتماع والطب و الحكمة و المنافع و المأكولات و المشروبات و مضارها و هذا فضلا عما ذكره الجاحظ في مقدمة الكتاب حيث ينوه بالحجج العجيبة الطريفة والحيل المضحكة و اللطيفة، التي يريد من القارئ التحرز منها تصويرها تصويرا جليا تنحصر معه كل الملابسات المختلفة و ذلك ما نستطيع أن نتمثله في قوله في صدر هذا الكتاب قال: "و

[1]: المرجع السابق، ص 194.

لك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة أو تعرف حيلة لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة و أنت في ضحك منه إذا شئت و في لهو إذا مللت الجد."

فالكاتب مؤنس في جده و هزله، ومفيد بعلمه و فنه و مثقف بأفكاره و عمق خبراته، و مروح عن القارئ و كد الجد و أتعاب الحق، فالأذن مجاجة و النفس حصنة وفي دلك فوائد جمة[1].

[1]- المرجع السابق،ص195.

تحدث الفصل الأول عن الشخصيات ونفسياتهم وأهدافها الأولى تجري أحداثها في بيت بورجوازي بخيل يدعى آرباغون harpagon هوقبل كل شيء رجل بخيل يحب المال حبا جما ولايفكر إلا بصندوقه الذي وضع فيه كل أمواله والذي خبأه في حديقة منزله،بعيدا عن أعين الناس وهو دائم الخوف من أن يسرق هذا الصندوق،ويشك في كل الناس،حتى أنه إتّهم لافيش وهو خادم إبنه بأنه يحاول سرقته،فيفتش في جيوب بنطاله ليتأكد من براءته فهو بخيل يشك في كل الناس حتى أولاده،وله ولدان شاب يدعى كليانت وفتاة تدعى إليز .ولكل منهما مشاريع زواج فهي تحب الشاب فاليير Valère الذي أنقد حياتها عندما إنتشلها من الماء وهي تكاد تغرق وهو يبادلها الحب .وقد دخل في خدمة والدها كرئيس للخدم لكي يبقى قريبا منها.

أمّا كليانت Cléante فهو مغرم بفتاة فقيرة تدعى ماريان mariane وهو مستعد أن يقترض الأموال في سبيل مغادرة المدينة والعيش بصحبتها.دلك أن قسوة أبيه وبخله يمنعانه من تحقيق مشاريعه الطموحة.[1]

1-فن التمثيل.اسعد عبد الرزاق.مطبعة جامعة بغداد.(د.ط).1979.ص70

2-الفن المسرحي عبد الكريم جدري دار الفنك للنشر ج1 ط1 1993 الجزائر ص170

Harpagon :Attend ne m'emportes-tu rien ?.

Laflèch :Que vouse emportorais-je ?.

Harpagon :Vien ça,que je voie montre-moi tes mais.

Laflèche :Les voilà.

Harpagon : Les autres

Laflèche :Les autras ?

Harpagon :Oui.

Laflèche :Les voilà.

Harpagon :N'as-tu rien mis ici de dans ?

Laflèche :Voyez vous-même.

Harpagon :(Il tâte le bas de ses chausses.) ces grands hauts.de-chausses,sont propres à devenir les receleurs des choses qu'on dérobe et je voudrais qu'ons ent eut fait pendre quel qu' un.[1]

1:فن التمثيل،أسعد عبد الرزاق،ص،76

قال: آرباغون:إ نتظر ألم تسرق شيئا يخصني؟

لافليش: ماذا تظنني أخذت؟

آرباغون:إ قترب لأرى.اريني يدك.

لافليش:ها هما.

آرباغون:والأخريان؟

لافليش:ها هما.

آرباغون:أ جل.

لافليش:ها هما.

آرباغون:(مشيرا إلى سروال لافليش) الم تصنع شيا في الداخل؟

لافليش:أ نظر بنفسك.

آرباغون:(يلتمس أسفل سرواله) لقد تحولت هذه السراويل الواسعة التي مخابئ تخفى فيها المسروقات وكم أتمنى أن أرى أحدهم يعاقب شنقًا.[1]

1-البخيل.عربي فرنسي.موليير.مهى عبد الحفيظ صبرا دار ومكتبة الهلال ط2004،1،ص،38

لكنه هو أيضا لديه مشاريع زواج.يرد أن يتزوج بالشابة ماريان ويريد أن يزوج ابنته من العجوز الغني أنسلم أما إبنه كليانت فهناك أرملة عجوز ينتظر منه أن يتزوجها تعارض إليز مخطط أبيها وترفض بتاتا الزواج من أنسلم هناك يتدخل فالير الذي يساند آرباغون في الظاهر حتى يستميل قلبه.

ولكي يستطيع كليانت تحقيق مشاريعه طلب من خادمه أن يجد شخصا يقرضه مالا الذي هو بحاجة إليه لكن يكتشف أن ها المرابي ليس إلا

آرباغون أي أبوه بنفسه فيتجابه الأب مع الإبن في مشهد عنيف يتهم فيه كل منهما الآخر بشتى الأوصاف.

Harpagon :c'est toi qui te vous ruiner par des emprunts si comdamnables ?

Cléante :C'est vous qui cherchez à vous enrichir par des usures si criminelles ?

Harpagon :Osez-tu bien,après cela parâtre devant moi ?

Clèante :Osez-vous bien, après cela, vous présenter aux yeux du monde ?

Harpagon :N'as-tu point de honte-dis-moi-d'eu venir à ces débauches-la ?de te précipiter dans des dépenses effroyables et defaire une honteuse dissipation du bien que tes parents t'ont amassé avec tant de sueurs ?.[1]

1-l'avare,molièr ,l'aventurine,robert riccati ,préface de bruno vincent,paris,2000,page :43-44.

Cliéante :ne rougissez-vous point de déshonorer votre

condition par les commerces que vous faites de sacrifier gloire et réputation au désir insatiable

d'entasser écu sur écu, et de renchérir, en fait d'intérêts

sur les plus infâmes subtilités qu'aient jamais inventées les plus célèbres usuriers.

Harpagon :O te-toi de mes yeux, coquin ! ôte-toi de mes yeux !

Cléante :Qui est plus criminel, àvotre avis, ou celui qui achète un argent dont, il a besoin, ou bien celui qui vole un argent dont iln'a que faire.1

1:المرجع السابق،ص48.

قال:آرباغون: أهو أنت من يريد تدمير نفسه بقروض مضنية؟

كليانت:أهو أنت من يسعى إلى الثراء بتقاضي فوائد إجرامية؟

آرباغون:أتجرؤ على المثول أمامي بعد ماحصل؟

كليانت:أتجرؤ على مواجهة الناس بعدما حصل؟

آرباغون:ألا تخجل من نفسك؟ تكلم؟ ألا تخجل من حالة الفسق هذه التي وصلت إليها؟ أن تسعى إلى مصاريف باهظة وتبدد ثروة والدك اللذين جمعاها بعرق الجبين؟.[1]

كليانت:ألا تخجل من تدنيس محيطنا الاجتماعي بعلاقاتك الآثمة؟ وتضحي بشرفنا وسمعتنا لإشباع رغبتك الجامحة في جمع المال ودفع الفوائد بابتكار حجج دنيئة لم يقف على ابتكارها أشهر المرابين؟

آرباغون:أغرب عن وجهي أيها الخبيث !أغرب عن وجهي!

كليانت:من المجرم بنظرك؟ محتاج يقترض المال بالفائدة أم دائن يسرق مالا لا حاجة له به؟

تأتي فروزين التي تقدم خدماتها لآرباغون فتقول له إن الفتاة التي ينوي أن يتزوجها تحبه وتقبل الزواج منه رغم فارق السن كما تؤكد له إنها ستأتي له بمهر كبير لكن عندما تصل إلى طلب القليل من المال لقاء أتعابها يتهرب البخيل ويغادر المسرح دون أن يدفع لها فلسا واحدا .

-يشهد الفصل الثالث الكثير من الأحداث فهو يبدأ بآرباغون الذي يجمع خدمه ويشير عليهم كيف يجب أن يحضروا العشاء لهذا اليوم بأقل كلفة ممكنة وكيف يجب أن يتصرفوا مع الضيوف.[2]

1-المرجع السابق.ص.46.47.

2-نماذج من المسرح الحديث.عبد الكريم جدري.إ تحاد الكتاب الجزائر.ط1.20022.ص91

يظهر السيد جاك وهو الطباخ والحوذي في وضع أضعف من وضع فالبير فيقسم أنه سينتقم ما إن تحين الفرصة.[1]

-تصل ماريان بصحبة فروزين تتحدث عن شاب تعرفت به ووقعت في حبه.عندما ترى آرباغون التي تعرض عليها فروزين أن تتزوج منه تشعر تجاهه بالخوف لكنها تشعربالراحة عندما تكتشف أن الشاب الذي تحبه ليس إلاّ إبن آرباغون هنا يستعمل كليانت لغة مزدوجة المعنى فيتحدث إلى الفتاة بلسان أبيه ويعبر لها عن مدى حبه لها.

لا يفهم البخيل ما يجري بينهما ولكنه يمتعض شديد الامتعاض عندما يأخذ ابنه منه خاتمه ويقدمه لماريان.[2]

-أمّا الفصل الرابع يطلب كليانت وماريان من فروزين أن تساعدهما في التصدي لمشاريع آرباغون الذي يرى من بعيد ابنه يطبع قبلة على يد ماريان قبل مغادرتها المسرح عندها يشك في أن أمرهامًا يدوربين الشابين.فيقول لكليانت انه عجوز وانه كان ينوي أن يطلب منه أن يتزوج الفتاة الصبية.يقع الشاب في الفخ ويعترف لأبيه بحقيقة مشاعره فيغضب البخيل منه غصبا شديدا.[3]

1-المرجع السابق.ص52.51.

2-فن الثمثيل أسعد عبد الرزاق.ص.83.82.

3-نماذج من المسرح الأروبي الحديث.عبد الكريم جدري.ص.124.

-يتدخل جاك ويوهم كلا منهما أن الآخر تخلى عن الفتاة ماريان وقبل بزواجه منها لكنهما لا يلبثان أن يكتشفا الحقيقة فيعودا إلى خلافتهما وتنتهي المجابهة بأن يطرد الأب ابنه لكن لا فليش يصل في الوقت المناسب ويهمس لكليانت بأن صندوقة البخيل في حوزته.

يكتشف آرباغون أنه قد سرق فيصرخ ويتألم وينادي بشنق العالم بأسره.[1]

Laflèch :Guignè ce ci tout le jour.

Cléante :Qu'est-ce que c'est. ?

Laflèche :Le trésor de notre père,que j'ai atrapé

Cléante :Comment as-tu fait. ?

Laflèche :vous saurez tout.sauvons nous,je l'entends crier.

Harpagon :(Il crie au voleur dès le jardin,etvient sans chapeau.)au voleur! au voleur !àl'assassin !au meurtrier !justice, juste ciel !je suis perdu, je suis assassiné, on m'a coupé la gorge, on m'a dérobé mon argent.

1 :la'vare2,molière,plaute la marmit ,pocket,1998,page :51.53

كليانت:ماذا هناك؟

لافليش:قلت لك اتبعني تسير الأمور في مصلحتنا.

كايانت:ماذا؟

لافليش:انها فرصتك.

كليانت:مذا؟

لافليش:ترقبت هذا كل يوم.

كليانت:ماهذا؟.

لافليش: إنه كتر أبيك لقد استوليت عليه.

كليانت:كيف وجدته؟

لافليش:ستعلم لاحقا لننسحب.أسمع صراخه.

آرباغون:(يأتي من الحديقة يزعق معلنا وجود سارقا ويدخل بلا قبعة

أدركوا اللّص السارق !المجرم!القاتل!أنصفني يارب!أنت العادل!أنا محطم أنا ميت لقد ذبحت ثمة من سلب مالي.[1]

[1]- فن التمثيل أسعد عبد الرزاق .ص.99

- أمّا الفصل الخامس وفيه تحل كل مشاكل الشخصيات يدعو آرباغون رئيس الشرطة للتحقيق مع أهل المترل وسكان المدينة والعالم كله،يريد السيد جاك الإنتقام من فالير فيتهمه بأنه السارق،عندما يصل فالير يطلب منه آرباغون الإعتراف بجريمته ،لكن الشاب يعتقد أن الأمر يتعلق بحبه لإبنته.فيعترف بذنبه ويقول إن نواياه صافية وإن الحب هو دافعه.

-وعندما يزول سوء التفاهم بين الشخصين يصل السيد أنسلم وهو رجل نبيل وغني،ويكتشف الجميع أنه ليس سوى والد فالير وماريان الذين فقدهما عندما غرق المركب الذي كانوا فيه،وتنتهي المسرحية بأن يعلن أنسلم بأنه سيدفع كامل مصاريف حفلة الزواج إذا قبل آرباغون بأن يتزوج كليانت من ماريان وفالير من إليز،يقبل البخيل بذلك خاصة وأنه إستعاد صندوقة أمواله الحبيبة.[1]

[1]- البخيل عربي-فرنسي موليير مهى عبد الحفيظ صبرا.ص192

-إستغل موليير Molièr جميع قراءاته و ذكرياته كي يؤلف مسرحية البخيل L'avare فجاءت عدة مشاهد فيها تقليدا لبعض المسرحيات

الإيطالية،وثمة مشاهد أخرى مثل مشاهد فروزين Frosine وآرباغون Harpagon أخدها موليير Molièr عن "أريوتس" أو عن مسرحية "المحامية الجميلة".

ونذكر منها موقف الأب وهو يقرض إبنه المال،ويقال العبارة المشهورة بدون مهر sans Dont أخدها عن مسرحية"جيللي"التي عنوانها "لاسبورتا".[1]

-أمّا أهم المصادر التي قبس منها موليير Molièr مسرحيته هذه فهي مسرحية"المرجل"التي ألفها بلوط Plaute اللاتيني فقد أخدعنه موليير Molièr قصة الصندوق الصغير وشكوك البخيل وطرد الخادم،والسرقة والمونولوج.يطلب محاكمة اللصوص،والناس جميعًا،لكن"بخل أوكليون"بطل مسرحية"المرجل"صفة عارضة وهو خطيئة أكثر فقد هبط عليه كتر من السماء وسهر على حراسته وكان فقيرا معدمًا،فتألم من بخله أكثرممّا تألم من فقره.[2]

[1] - l'avare,molière,l'aventurine,robert,page :16.

[2] - l'avare,plaute,lamarmite,page :22.

-وكان للشاعر"ميناندر"اليوناني مسرحية في نموذج البخيل حاكاها الشاعر الروماني"بلوتوس"في مسرحية التي عنوانها"أولاريا" أو "وعاء الذهب".

وبها تأثر موليرMolièreفي مسرحيته الشهيرة"البخيل" وفيها صور شخصية آرباغونHarpagon نموذجا إنسانيا للبخل وتعمق في تصويره أكثر ممّا فعل"بلوتوس"،بحيث ظهرت هذه الرذيلة الإجتماعية في صورها المختلفة في علاقة البخيل بأولاده وفي نظرته إلى المجتمع حتى أن عاطفة الحب عنده لم تطغ على صفةالبخل فيه،وقد ظهرت في المسرحية آثار هذا البخل الأليمة في أبناء ذلك البخيل،ممّا أكسب هذه الملهاة طابعا به يقرب الضحك المر من البكاء،وتبدو من خلالها المأساة الإجتماعية في صورة ملهاة عميقة المعاني.[1]

-في حين نجد آرباغونHarpagonأساس من أسس شخصيته وآرباغون ليس محدث ثراء فهو غني وعنده عدد من الخدم وهو لا يسهر على كنزه كما فعل"أوكليون"لكنه كان يحاول تنمية ثروته بكل الوسائل ويدين موليير لبلوطPlauteبكثير من السّمات،المضحكة لكن مسرحية "المرجل"ستظل دائما ملهاة مواقف،ومناسبات أمّامسرحية"البخيل"فهي كوميديا الشخصيات.[2]

1:الأدب المقارن.د.محمد غنيمي هلال.دار العودة ودار الثقافة بيروت.ط5.(د.ت).ص.304.

2:المصدر نفسه.ص.310

- كان موليير Molièr يستهدف عرض ملابسات إحدى الخطايا والنقائض التي يؤثر فسادها على أسرة بأكملها فبخل آرباغون Harpagon يجفف قلبه ويقسيه ويعمي من نفسه وبصيرته ويحيله غرًا يمكن السخرية منه والضحك عليه ويقول"جوته"أن مسرحية البخيل هي المسرحية الوحيدة بين مسرحيات موليير Molièr جميعًا التي تعضم فيها النقيصة صلة الأب وإبنه فيها سمو لا مثيل له،وهي تقترب من التراجيديا إقترابًا كبيرًا لكن موليير لم يكن ينوي أن يقدم إحدى التراجيديات.[1]

- ولذلك نجد أن مسرحية البخيل لم تلق أول الأمر إلاّ نجاحًا سيرًا،وبعد أن قدمها موليير تسع مرات كان الدخل فيها ينخفض يومًا عن يوم،أوقف تمثيلها لمدة شهرين ثم أعاد تمثيلها إحدى عشرة مرة مع ملهاة قصيرة.[2]

1:الأدب الامقارن،د.محمد غنيمي هلال،دار النهضة مصر للطبعة والنشر،القاهرة،(د،ط)،(د،ت)،ص306.

2:الحياة في الدراما،إريك نبتلي،ترجمة جبر إبراهيم جبر،المكتبة العصرية'بيروت،(د،ط)،1968،ص109.

- كان موليير Molièr يستهدف عرض ملابسات إحدى الخطايا والنقائض التي يؤثر فسادها على أسرة بأكملها فبخل آرباغون Harpagon يجفف قلبه ويقسيه ويعمي من نفسه وبصيرته ويحيله غرًا يمكن السخرية منه والضحك عليه ويقول"جوته"أن مسرحية البخيل هي المسرحية الوحيدة بين مسرحيات موليير Molièr جميعًا التي تعضم فيها النقيصة صلة الأب وإبنه فيها سمو لا مثيل له،وهي تقترب من التراجيديا إقترابًا كبيرًا لكن موليير لم يكن ينوي أن يقدم إحدى التراجيديات.[1]

- ولذلك نجد أن مسرحية البخيل لم تلق أول الأمر إلاّ نجاحًا سيرًا،وبعد أن قدمها موليير تسع مرات كان الدخل فيها ينخفض يومًا عن يوم،أوقف تمثيلها لمدة شهرين ثم أعاد تمثيلها إحدى عشرة مرة مع ملهاة قصيرة.[2]

1:الأدب الامقارن،د.محمد غنيمي هلال،دار النهضة مصر للطبعة والنشر،القاهرة،(د،ط)،(د،ت)،ص306.

2:الحياة في الدراما،إريك نبتلي،ترجمة جبر إبراهيم جبر،المكتبة العصرية'بيروت،(د،ط)،1968،ص109.

الفصل الثالث :

ظاهرة البخل في الكتابين

- قال الجاحظ:"والبخيل عند الناس ليس هو الذي يبخل على نفسه فقط،فقد يستحق عندهم إسم البخيل،ويستوجب الذم،من لا يدع لنفسه هوى إلا ركبه،ولا حاجة إلا قضاها،ولا شهوة إلا ركبها،وبلغ فيها غايته،وإنما يقع عليه إسم البخيل إذا كان زاهداً في كل ما أوجب الشكلر،ونوه بالذكر،وأدخر الآجر."[1]

- فالجاحظ قارب مفهوم البخل من خلال الموصوف به،أي البخيل الذي كما قال،يزهد في كل ما يوجب الشكر،وينوه بالذكر ويدخل به صاحبه الأجر، بمعنى ،ن البخل يجعل صاحبه بعيدا عن المكارم والمحامد،وقريبا من الذم والمدح،يقول الجاحظ في هذا الصدد:"وليس عجبي ممن خلع عذراه في البخل،وأبدى صفحته للذم، و لم يرض من القوإلا بمقارعة الخصم،ولا من الإحتجاج إلا بما رسم في الكتب،ولا عجبي من المغلوب على عقله،مسخر لإظهار عيبه،كعجبي ممن قد فطن،وعرف إفراط شحه."[2]

- وفي فقرة أخرى يعدد أوصاف البخيل مقارنًا إياه بأوصاف أخرى للجواد والشجاع والمستحي،ويتجلى ذلك في قوله:"ونحن لا نجد الجواد يفر من إسم الشرف إلى الجود،كما لا نجد البخيل يفر من إسم البخل إلى الإقتصاد،ونجد الشجاع يفر من إسم المنهزم،والمستحي يفر من إسم الخجل،ولو قيل لخطيب ثابت الجنان وقاح الجزع."[3]

1:دائرة المعارف الإسلامية،ترجمة أحمد خور رشيد،مج6(د.ت)،ص،182.

2:البخلاء، الجاحظ،المكتبة الثقافية،بيروت،لبنان،.(د.ط)،(د.ت)،ص114.

3:المصدر نفسه،ص،116.

- والواقع أنه لا يمكن البحث عن دافع الجاحظ في الكتابة عن البخل والبخلاء بمعزل عن حركة تجمع وتركز رأس المال في عصره،فقد أدت هذه الحركة دورًا رئيسيا في تغيير المفاهيم الإجتماعية خاصة والمفاهيم الحياتية عامة.

-وكان التجاذب الحاصل بين مقومات الحياة العربية المتطورة و عناصر المجتمعات الأجنبية الداخلة يتولد ويتوالد دائما ودون إقطاع عن ذلك التصاعد المادي المستمر في الحاضرة العربية في ذلك الحين.[1]

- وجاء كتاب"البخلاء"للجاحظ ليمثل مرحلة المقاومة،مرحلة التعبير الشعوري الناقد.لقد كانت مراعاة أصول الضيافة والكرم من تلك المثل العربية القديمة التي يعتز بها العربي اعتزازا كبيرًا منذ الجاهلية.

-ولما جاء الإسلام أصبح الكرم والضيافة موضعا تحبيذه،والبخل والتقتير محل إستنكاره،قال الله تعالى:"فَاتَّقُواالله مَااسْتَطَعتُم وَاسْمَعُوا وَأَصْلحُوا وَانْفقُوا خَيرًا وَمَنْ يُوقَ شُحَ نفْسه فَأولئكَ هُمْ المُفلحُلون"*1.و قال أيضا:"وَهَا أَنْتُمْ هَؤُلآءْ تَدْعُونَ لتُنْفقُوا في سَبيلَ الله فَمنْكُمْ مَنْ يبخل وَمنْ يبخل فإنَمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسه وَالله الغَنيُ وَأَنتُم الفُقَرَاء"*2.[2]

1:صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء،علاء الدين رمضان السيد،تحلد حضور،تحلد السابع،(د.ط)،2003،ص88.

2:مع بخلاء الجاحظ،د.فاروق سعد،دار الأفاق الجديدة،بيروت،ط1413،6-1992،ص20.

*1:سورة التغابن،الآية16.

*2:سورة محمد،الآية38.

- وكان الكرم والضيافة،هما أقرب المثل موضوعا للمناهضة،وكان البخل إحدى صور هذه المناهضة،وكان نقد البخل مظهرًا من مظاهر المقاومة ذلك أن المحافظة على تقاليد الكرم والضيافة مهما كان شأن وتأثير هذه التقاليد.[1]

- و يرى الدكتور طه الحاجري-في مقدمته للطبعة الثانية التي حققها لكتاب البخلاء-أن الجاحظ أخذ موضوع البخل الذي كان أكبر مثارة للشهوات السياسية والعنصرية والذي كان جديرا أن يثير عوامل المشاقة والمخاصمة فجعله موضوعا أدبيا خالصا،ومتعة فنية رائعة،وكان رهينا بأعراض المقوتة التي أثير من أجلها،فصار خالدا خلودا النفس الإنسانية يمنح منها ويصدر عنها ولها".[2]

1:أدباء العرب في الأعصر العباسية،بطرس البستاني،دار التوفيقية،القاهرة،(د.ط)،1987،ص،100

2:حضارة العرب في العصر العباسي،حسين الحاج حسين،المؤسسة الجامعية للدراسات،بيروت،(د.ط)،1994،ص،31.

- قال موليرMolièrمن الصعب أن يتطبع المرء عيوب الآخرين،إذا كانت هذه العيوب متمركزة في طبعتهم الإنسانية،حتى أنه يروي أن بخيلاً من البخلاء شاهد مسرحية البخيل،فلما سئل عن سبب مشاهدته لها،أجاب أنه أراد أن يأخد دروس في البخل.[1]

-هذا ما كان يلف عصره من فساد واحتيال وكذب فجاءت مسرحية البخيل لتشكل ظاهرة من ظواهر الفكر العربي في المجتمع الفرنسي،حيث تعكس أنماط الحياة في المجتمع.وأخذت تتحول من البساطة إلى التعقيد بعد أن إبتعدت عنها تلك السهولة التي كانت تطبعها وتميزها.[2]

- يرى موليير أن البخل ظاهرة شاذة من الظواهر التي تفشت في الجتمع الفرنسي في ظل التحول الإجتماعي والسياسي والإقتصادي،فالمجتمع الفرنسي كان أشد بؤس وتعاسة وأكثر افتتان بجمع المال،كلما شاعت فيه ضروب النفاق والحرص على المال...

- وجاءت حروب لويس عشر معاصر موليير لتزيد الطين بلة،إذ أنهكت فرنسا،وخلفت فيها أنواعا من الشقاء ونفقاة الحروب الطويلة لذلك جاءت مسرحية البخيل نموذجا رمى فيها المشاكل التي كانت تحيط ببني عصره،فوصف عواطف وبخلهم وحيلهم،فهو يروم من خلال هذه المسرحية إلى تعليم المشاهدين.[3]

1:من أعلام المسرح العالمي،محمد حمودة،دار القومية للطباعة والنشر،(د.ط)،(د.ت)،ص125.

2:الحياة في الدراما،أريك نبتلي،ترجمة إبراهيم جبر،المكتبة العصرية،بيروت،(د.ط)، 1968،ص،105.

3:فن الشمتيل،أسعد عبد الرزاق،مطبعة جامعة بغداد،(د.ط)،1979،ص،72.

من خلال إضحاكهم،وكذلك لكي يحلل الالعقد والمشاكل التي تتعرض لها النفس البشرية في كل زمان ومكان.فهو يقول:"*ان واجب الكوميديا أن تهذب الناس من خلال تسليتهم*"[1].

1:المرجع السابق،ص،73.

-يعد عنصر السخرية من أبرز الصفات التي يمتاز بها أدب الجاحظ،ولا تكاد تخلو قطعة في كتابه البخلاء من روح السخرية التي بهدوء ورصانة،وخفة ظل...وإذا كان لحياة الجاحظ الممتلئة بالمعايشة والتجربة،وكذلك لألوان ثقافته المتعددة الوجوه،والتي أفضت به إلى الإطلاع على صنوف الأجناس وألوان العقول،ومن ثم روح الاعتزال،ونزعة الجدل والمناظرة التي كان قادرا على تمثلها وإستبطانها،ومن طبيعته ومزاجه،وروحه المرحة سببًا في نزعته إلى الضحك والمزاح والفكاهة إذ يقول:"ولو كان الضحك قبيحًا من الضاحك وقبيحا من المضحك،لما قيل للزهرة والخبرة والحلي والقصر المبني كأنه يضحك ضحكا".[1]

وسخرية الجاحظ لا تأتي بصورة فجة وقاسية،بل تأتي في صورة رقيقة مستبطنة،لينتبه إليها إلا القارئ المتمتع بذهن متوقد وذوق رفيع.

-إذا كان الجاحظ قد تناول وعرض في كتبه نماذج وشخصيات البخلاء،فهي نماذج وشخصيات من النوع الذي أعيا الضمير الإجتماعي في كل زمان ومكان كيف لا والقانون لا سبيل له إليها،ولا سبيل لها إليه فهي لا تنشئ موجبًا ولا تؤلف حقًا،ولا ترتب حقوقًا،لا لجهة البخيل ولا لجهة من يتعاطى معه أويلتقي به،ولا للغير أفرادًا أوشخصيات معنوية،إنها نماذج وشخصيات من النمط الذي لم يخضعه القانون أو النظام له و لم يدخل ضمن أبعاد الأخلاق على تطور مفاهيمها.[2]

1:مع بخلاء الجاحظ،د.فاروق سعد،دار الأفاق الجديدة،بيروت،ط6 1413ه-1992،ص،96.

2:فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير والبخلاء والحيوان،رابح العوبي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط1409ه-1989،ص،90

ومن هنا ينطلق مبرر السخرية من هذه النماذج والإضحاك على تصرفاتها وهكذا تكون السخرية والإضحاك ذلك"اللجام الإجتماعي"على حد تعبير هنري برغسون Henri Bergsonالذي يلجأ إليه المجتمع عندما يعييه السبيل ويفقد الأداة والجاحظ عندما إعتمد على السخرية والإضحاك،كان يعي تلك الغاية وذلك الهدف الإجتماعي،فهو يقول:"وللضحك موضع وله مقدار،وللمزاح موضع وله مقدار ومتى جازهما أحد وقصر عنهما أحد،صار الفاضل خطلا والتقصير نقصًا،فالناس لم يعيبوا الضحك إلاّ بقدر،ولم يعيبوا المزح إلاّ بقدر ومتى أريد بالمزح النفع وبالضحك الشئ الذي له جعل الضحك،صار المزح جدّا والضحك وقارا".[1]

1:المرجع السابق،ص،92

-في تحليل عنصر السخرية والإضحاك عند موليير،يقول الدكتور عمر الدسوقي:"ولموليير ملاه خفيفة ليس فيها هذا العمق في التحليل،والجودة في الصنعة،وإنّما الغرض منها إثارة الضحك"[1]،ومن هذا القبيل ملاهيه:الزواج بالإكراه وطبيب رغم أنفه،وكان يلجأ إلى هذا النوع بين الفنية والفنية لأنه محبب إلى الجمهور،وهو في حاجة إلى إكتساب رضاه والإقبال على مسرحه.[1]

-وضع موليير مسرحية البخيل بأسلوب نثري،وهي على الرغم من كونها من أعماله الرائعة فإنها ام تلق في البداية الإعجاب الذي تستحقه،ولم ير فيها الناس رائعة من الروائع إلاّ بعد موت صاحبها وربما يعود الفتور الذي عرفته في بداية الأمر لكونها تعتمد على قوة شخصية واحدة محورية واحدة،هي شخصية البخيل آرباغون Harpagonفالأحداث تدور كلها حول ما يريد أوما لايريد،وحول ما يعمل أو ما لا يعمل،إنه بخيل بل هو نوذج البخيل،غني لا ينفك يفكر في الوسائل التي تخوله زيادة ثروته والحصول على المال،مع الحرص على أن لا يصرف قرشًا واحدًا،وهو يفكر في كل ما يمكنه من الحفاظ على ممتلكاته وإدخار أمواله.[2]

-وإذا ما رينا تحليل المواقف التي توجد فيها شخصيات هذه المسرحية،فإننا نرى أن هناك متسلط وأولاد محرمون من المال، مجبرون على الإبتعاد عن أحبائهم والزواج ممن يكرهون،وبخيل يبكي على فقدان ماله،وهذه مواقف أقرب إلى مواضيع المأساة منها إلى مواضيع الكوميديا وهي جديرة بأن تبكي

1:من أدب التمثيل الغربي،طه حسين،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط1985،2،ص،45.

2:من فنون الادب المسرحية،عبد القادر القط،دار النهظة العربية،بيروت،(د.ط)1978،ص123.

*1:إثارة الضحك:هي نوع يسمى في الأدب الغربيfarce أي الملهاة،الفكهة أوالضحك.

أكثر مما تضحك لكن موليير بما يملك من فن السخرية والتسلية إستطاع أن ينتزع من هذه المواقف ما يسلي المشاهد وبحثه عى الضحك ويبعث في نفسه البهجة والسرور.[1]

1:من أدب التمثيل الغربي،طه حسين،ص،47.

- يتعقب الدكتور طه الحاجري أحد محققي كتاب البخلاء،وصف الجاحظ لبخلائه بدقة ومتابعة،ليرسم لنا أبرز الصفات الفنية التي تتجلى في أسلوب الجاحظ،والتي تأتي في أولها البراعة في الوصف والدقة في التصوير،موضحا أن الوصف عند الجاحظ يعني ما يشمل الوصف الحسي والوصف النفسي للبخل.[1]

- والبخيل في أدب الجاحظ إنسان حقيقي موجود في المجتمع،لا شخصية أسطورية أو متخيلة،ونستطيع مع بعد الشقة بيننا وبينه أن نراه أمامنا كسهل بن هارون،والخزامي،والحارثي،والكندي،وإبن أبي المؤمل وإبن التوأم والأصمعي وبخيل الجاحظ إنسان يرى الإقتصاد في النفقة هو العقل بعينه بل هو السلوك الصحيح،وتثمير المال هو الوسيلة الأجدى أو مذهب"الجمع والمنع"[2]،كما يحلو للجاحظ أن يصفه.

- إن البخيل يدافع عن حرصه هذا فيأخذ الجاحظ في إيراد تلك الحجج ليسوقها ممزوجة بالسخرية الناعمة تارة،وينطق البخيل حججا ومسوغات تثير السخرية المكشوفة والتهزؤ الصريح طورًا آخر.

1:مع بخلاء الجاحظ،د.فاروق سعد،ص،75.

2:دراسات في الأدب العربي كاظم حطيط،دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،(د.ط)،(د.ت)،ص،30.

والجاحظ مولع بإستشفاف الحركات التي تلابس البخل،وبإستبطان الاحاسيس التي تصحبه وتبين الحركات الشعورية المختلفة وما بينها وبين السمات الظاهرة على البخيل من صلة من مثل كلمة عابرة،أو إشارة طائرة،أولفتة سريعة خاطفة.[1]

1:مع بخلاء الجاحظ،د.فاروق سعد،ص،76.

-تبدوا أوجه الشبه بين بخلاء الجاحظ وبخيل موليير متعددة وأكثر ما تتجلى في:

أولا:المبالغة في تصوير صفة البخل عند الكاتبين لدرجة أن أعاب بعض النقاد على موليير تخطية لكل ما هو معقول ومحتمل في طبائع أشخاصه وقالوا:"إن بخيل موليير ليس إنسانا عاديا يعيش بيننا وإنّما هو شخص مستحيل الوجود"،وحججهم في ذلك أن في ملهاة البخيل عناصر كثيرة للتهريج،ومواقف خارقة للعادة،بحيث لا يعقل أن تكون صورة للواقع،أو مما يحتمل وقوعه في الحياة...وبعض هذه المواقف يبدوا محتملا ومعقولا،وبعضها في غاية السخف كموقف"آرباغون"الذي يتوجه للنظارة بالزعيق والصراخ طالبا منهم أن يرشدوه إلى سارقها،أو حين نراه يمسك بيده ظنا أنه يمسك بيد اللص.[1]

- ويوضح الدكتور"يوسف محمد رضا"سبب هذه المبالغة مبينا أنه إذا كان بخيل موليير مستحيل الوجود،فإن بخلاء الجاحظ هم كذلك مستحلو الوجود،أو هم على الأقل فوق المألوف من البخلاء العاديين ولكن المغالاة،كما نعلم شرط أساسي في عملية التصنيع الفني القائم على تجاوز الواقع أو الإنطلاق منه إلى واقع قريب من المثال،إنه الواقع المنتخب لا المبتذل،وإلا لأصبح الأدب نسخا عن الشائع المكرور.[2]

1:المرجع السابق،ص،77.

2:دراسات في الأدب العربي،كاظم حطيط،ص،34.

-إن موليروالجاحظ أديبان فنانان يقدمان لنا نماذج فائقة للبخيل في أقصى ما يمكن أن نتصوره لهذا البخيلمن خصائص وتصرفات غريبة ومدهشة وشاذة والمغالاة في التصوير والسير في سبيلها إلى ذلك.[1]

ثانيا:على أن شخصية البخيل لدى الكاتبين تبدوا لنا شخصية حقيقية،وكائنا يعيش بيننا،وينبض قلبه بدم الحياة ولوإعتراه شيء من المبالغة في سلوكه إلاّ أن عيوبه وأهواءه هي التي تسيره وهي التي تضفي عليه صفة من صفاة البشر،لكنها هنا ظهرت بشكل كاريكاتيري مضخم.

ثالثا:وتبدوا نقطة الإلتقاء كذلك بين بخلاء الجاحظ وبخيل موليير في نظرتهم للبخل فهم يعتقدون أن الصفات التي يحملونها هي من صفات السلوك الصحيح من حيث الإقتصاد والحزم والتدبير،وغيرهم هوالمخطئ،فآرباغون يريد أن يظهر بمظهر"شيخ الشباب"رغم تقتيره أمام الشابة مريانة،وزبيدة بن حميد الصيرفي الميليونير يناقش البقال في الفرق الحاصل بين وزن الشعيرات الأربع الصيفية وبين ثلاث الشتوية الندية.[2]

-ويقارن عباس محمود العقاد في مقاله"البخلاء بين الجاحظ وموليير"فيقول:"وآرباغون هو الإسم لبخيل الذي رسمه موليير،ولكن يظهر السيد آرباغون بأسماء متعددة في كتاب البخلاء فما من كلمة قالها أو حركة قالها أو حركة أتى بها إلاّ اطلعت على مثيلاتها في أبطال الجاحظ.[3]

1:المرجع السابق،ص،40

2:ينظر،دراسات في الأدب العربي،كاضم حطيط،ص،86.

3:مع بخلاء الجاحظ،د.فاروق سعد،ص،91.

وهو على الأقل يفاضل هواه ويلح في السؤال عن البائنة التي تستطيعها الفتاة ولابد أن تستطيع شيئا من هذا القبيل

-فإذا نظرنا إلى آرباغون نجد أنه هو"أبو القماقم"صاحب الجاحظ الذي يعشق واحدة و لم يزل يتبعها ويبكي بين يديها حتى رحمته ثم ماذا كان من حبه بعد عطف الحبيبة عليه؟"إنه إستهداها هريسة وقال لها:أنتن أحدقُ بها ... ثم تشهى رؤوسًا ثم حسْيَة ، ثم طفيشيلية، ثم راح يشتهي سائر أصناف الطعام حتى علمت المرأة موضع هواه فقالت: رأيت عشق الناس يكون في القلب والكبد وفي الأحشاء، وعشقك أنت لا يتجاوز معدتك".

-وأبو القماقم هذا هو الذي راح عن مال إمرأة فقالوا له : قد أخبرناك بمالها، فأنت أي شيء مالك؟ قال: وماسؤالكم عن مالي؟ الذي لها يكفيني ويكفيها ؟.

-وكان آرباغون يقتر على دوابه في العلف لأنها واقفة بغير عمل وهذا الذي فعله بخيل الجاحظ حين ركب برذونًا فنام وهو يتعلف، وانتبه وهو يتعلف فصاح بغلامه صيحة المحترق: يا إبن ال... بعْهُ وإلا فَهبْهُ وإلا فرده، وإلا فَاذْبَحْهُ ... أنام ولا ينام ؟ إنه يذهب بحر مالي وما أراد إلا إستئصالي،أي نعم ذلك البرذون اللئيم ماوضع فمه في المغلاة إلا وقد طوى النيّة على إستئصال مال الرجل المظلوم .

-وآية الصدق عند الجاحظ وموليير معا أنهما لايختلفان في معالم الصفات وجوهرها مقدار ذرة مع إختلافهما في الزمن والبيئة والطريقة، ولن ترى واحدًا من الضحايا يضل عن صورته في المرآة التي نصبها له هذان العبقريان الساخران الساحران .[1]

1 :المرجع السابق، ص82-83.

رابعا:حتى إذا أتينا إلى الأسلوب في الأداء،ترى أن كلا من الأديبين إعتمد أسلوب الحوار،سواء كان في الملهاة لدى موليير أو في قصص الجاحظ،الحوار الذي إقترب عند كليهما من اللغة اليومية وممّا ألف الناس نطقه والإستشهاد به...وهذا هو السبب الذي أدى إلى الإرتفاع بهذه الأثار الأدبية إلى مستوى الفن الرفيع الذي لا يبلي مع الزمن.[1]

-وما كان لموليير أن ينجح،وأن يبلغ الذروة في هذا الفن لولا إعتماده الألفاظ والمصطلحان الشعبية التي إقتبسها من أفواه أصحابها الذي عايشهم في الريف الفرنسي،فجاءت ملاهيه مليئة بها.[2]

-وأبو عثمان الجاحظ لم يوفق في نوادره إلاّ لأنه تخلى عن الأسلوبية والتنميق،ونحا بها نحو العفوية والطبيعية والإنطلاق ببخلائه على سجيتهم.[3]

1:ينظر،دراسات في الأدب العربي، كاظم حطيط،ص.56.

2:نماذج من المسرح الأروبي الحديث،جدري عبد الكريم،إتحاد الكتاب الجزائريين،ط،2.2002ص44.

3:الأدب المقارن،محمد غنيمي هلال،دار النهضة مصر للطبعة والنشر،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص306.

أوجه الشبه	
بخلاء الجاحظ	بخيل موليير
- بخلاء الجاحظ مجتمعون في المسرحية الفرنسية الحديثة. - بخيل الجاحظ من مثل أبي المؤمل هو رجل بخيل بطبعه،لكنه يقمع بخله قمعا كي لا يحط من منزلته وهو لا يتكلف الكرم تكلف،فيخادع نفسه ويخادع الآخرين. - بخلاء الجاحظ لم يعد يحفل بالذم والخمول وأصبح زاهدًا في الحمد والذكر الحسن.[1]	-بخيل موليير موزع على صفحات كتاب البخلاء. -بخيل موليير بخيل بطبعه لكنه يحيا بخله ولا يمثله أو يقمعه. -البخيل آرباغون هو كائن حيًا واقعيًا وعفويًا.[2]

1:ينظر،دراسات في الأدب العربي،كاظم حطيط،ص 100.

2:ينظر،من أعلام المسرح العالمي محمد حمودة ،ص81.

أولا:فضفة التخضيض تظهر واضحة على بخلاء الجاحظ لأنه كان يصور كل بخيل على حدة،ويخلع على الواحد منهم من الملامح والسلوك غير ما نجد لدى الآخر،فإذا قارنا قصص المسجديين نجد صورة زبيدة بن حميد غير صورة مريم الصناع في حين جاءت صورة موليير على عكس صورة بخلاء الجاحظ من الجهة الفنية أي أنها تحمل صورة عامة تصلح لكل بخيل،على حين يرى"بول هازار"أن هذا العطاء قد حقق مفهوم النموذج في الأدب المقارن لأنه ظهر في صورة أغنى وأجمل وأوضح في معالمه ممّا نرى في المجتمع.[1]

ثانيا:وبخلاء الجاحظ يختلفون عن بخيل موليير في كثير من الصفات والمواقف حتى أن موليير من كثرة سذاجته يندهش من عبارة فالير عندما يؤنبه قائلاً:"إن على الإنسان أن ليعيش لا أن يعيش ليأكل"[2]،وقد يتغاب بخيل الجاحظ أحيانا لكنه تغاب معقول وعلى شيء كثير من الذكاء والفطنة حتى إنه يفطن إلى تغابيه فيسارع إلى تبريره بما يكاد يقنع ويظهر ذلك الفرق الكبير بين عقلية آرباغون وثقافته من جهة، وبين عقلية عبدالله بن كاسب الخزامي.[3]

ثالثا:ثم أن موليير قد صور لنا نموذجا واحدا دون سواه آرباغون.[4] في حين الدائرة اتسعت عند الجاحظ فانتقى نماذج البخلاء كثيرة ومتنوعة مثل:الملاكون الكبار وموردهم بدلات إيجارات دورهم كالكندي ومنهم الاقتصاديون من رجال المال والتجارة كالمدائني والثوري وزبيدة بن حميد الصيرفي وهذا الأخير كان يتعاطى الصيرفة وتجارة الرقيق،ومنهم من تعاطى اللصوصية والقرصنة كخالد الخلويه(خالد بن يزيد المكدي)،ومن أولئك الذي كان لهم شأن خطير في حركة الفكر والأدب في عصر الجاحظ،كسهل بن هارون وثمامةبن أشرس

1:ينظر،مع بخلاء الجاحظ ،د.فاروق سعد،ص 36.

2:من أعلام المسرح العالمي،محمد حمودة،الدارالقومية للطباعة والنشر،(د.ط)،(د.ت)،ص 76.

3:ينظر،دراسات في الأدب العربي ،كاظم حطيط:ص55.

4:تاريخ المسرح الحديث،جنقيق بيرو،مطبعة جامعة دمشق،(د.ط)،1974،ص 98.

وأبو الهذيل العلاف،وأبو القاسم الثمار وعلي الأسواري كانوا من أعلام المعتزلة،ومن البخلاء من يتعاطى التعليم كأبي عيينة أو سرد القصص كأبي كعب الصرفي،وهناك أيصا القضاة والأطباء والولاة والفقهاء،والجدير بالذكر أن الألفاظ والتعابير والمصطلحات التي نذرها الجاحظ على ألسنة هذه الشخصيات والنماذج هي التي عرفتنا إلى مهنهم وثقافتهم ذلك أن الجاحظ ناذرا ما كان يشير إلى مهنة الشخص أو ثقافته.

-وإذا كان بخلاء الجاحظ على تفلسفهم يبدون عفويين لا يصطنعون الفلسفة حين يبررون بخلهم وشحهم،فإن الفطنة والتفلسف الحاذقين يظهران عليهم كالخزامي ورمضان الصرفي والأسواري والعقدي وكعبد الله بن كاسب الذي كان له مع الجاحظ الحوار التالي.يقول الجاحظ:"وقلت له مرة:قد رضيت بأن يقال عبد الله بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم،فقلت:وكيف؟...،قال: لا يقال فلان بخيل إلاّ وهو ذو مال فسلّم إليّ المال،وادعني بأي اسم شئت،قلت: ولا يقال أيضًا فلان سخي إلا وهو ذو مال،فقد جمع هذا الاسم الحمد والمال،واسم البخيل يجمع المال والذم،فقد اخترت أخسهما وأوضعهما،قال:وبينهما فرق،قلتكفهاته.قال:في قولهم بخيل تثبيت لإقامة المال في ملكه،وفي قولهم سخي إخبار عن خروج المال من ملكه واسم البخيل إسم فيه حفظ وذم،واسم السخي اسم فيه تضييع وحمد،والمال زاهر نافع مكرم لأهله مُعزْ،والحمد ريح وسخرية واستماعك له ضعفٌ وفسولةَ،وما أقل غناء الحمد والله عنه إذا جَاع بَطْنه،وعرَى جلْده،وضَاعَ عياله،وشَمَتْ به من كان يحسده"[1].

رابعا:على أن هناك فرقا آخر كبيرا وواضحا في تلك الحالة النفسية التي تعترينا بعد أن ندرك مدى أبعاد شح بخيل الجاحظ وبخله،ذلك أن هذا البخيل الذي قدمه هو اختلال القيم،وهذا الاختلال بقدر ما يثير في النفس الضحك،فإنه يبعث مشاعر الكآبة والأسى .[2]

1:بخلاء الجاحظ،الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر،دار صادر،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ص10.

2:ينظر،مع بخلاء الجاحظ،د.فاروق سعد،ص 93.

أوجه الاختلاف	
بخلاء الجاحظ	بخيل موليير
-أعطى الجاحظ لبخلائه وصفا لإنسان حقيقي موجود سماه بإسمه. -بخلاء الجاحظ في أغلبيتهم الساحقة بخلاء مثقفون. -اختار الجاحظ أكثر بخلائه من طبقة المحدثين وكبار المسجدين والوزراء والولاة.[1]	-أعطى موليير لبخيله صفات كثيرة ابتعد فيها عن الواقعية. -بخيل موليير تبدوا عليه البلاهة والسذاجة في أكثر مواقفه إلى درجة يخرج معها عن المألوف والمعقول. -اختار موليير بخيله من الطبقة الوسطى.[2]

1:ينظر:دراسات في الأدب العربي،كاظم حطيط،ص65.

2:ينظر،نماذج من المسرح الأروبي الحديث،عبد الكريم جدري،إتحاد الكتاب الجزائري،ط1 .2002،ص50.

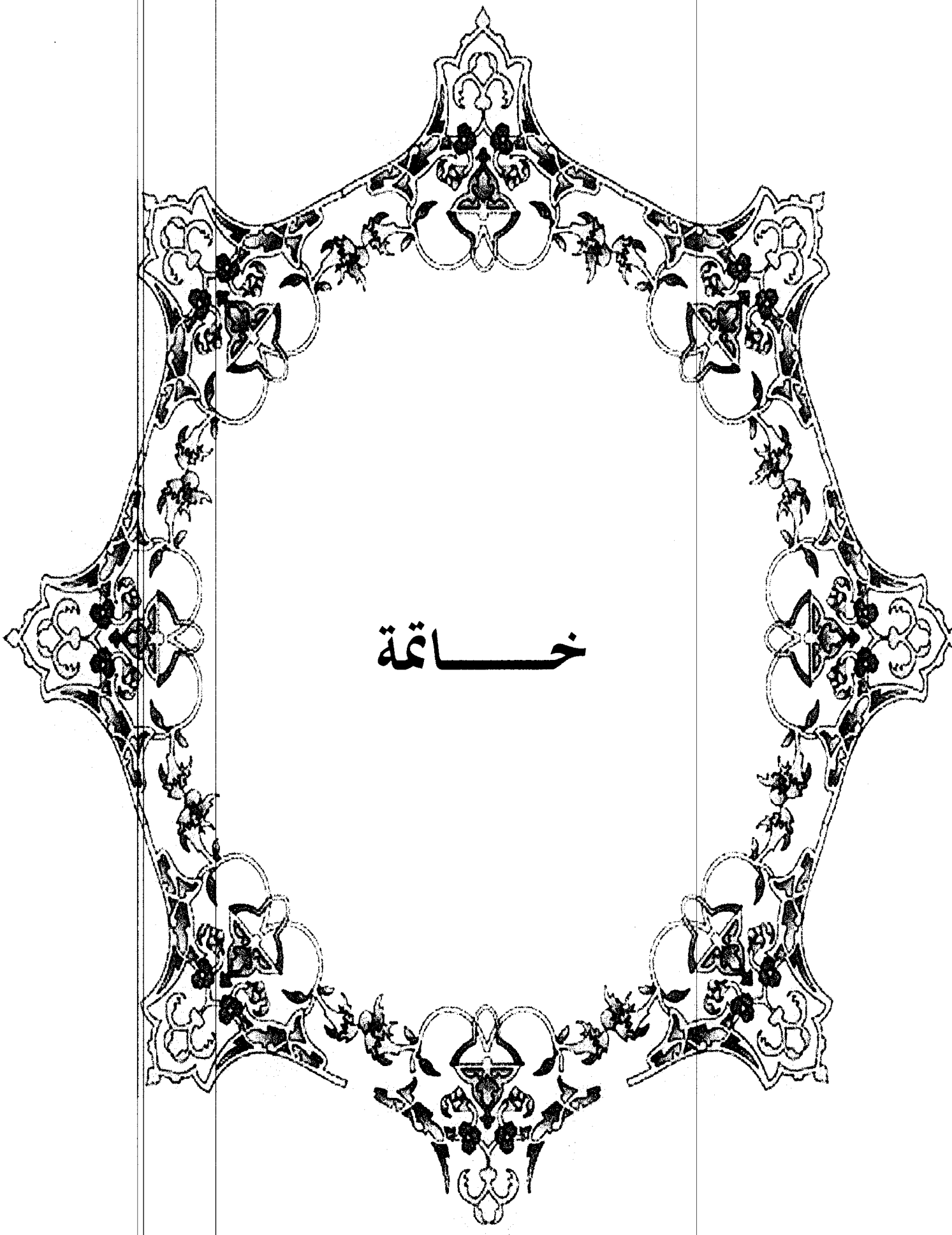

خـــــاتمة

خاتمة

-إن الجاحظ الذي كان له السبق هو وموليير في معالجة هدا الأنموذج البشري بأسلوب ميزه عن الآخرين،يعد كل منهما أديبان عبقريان يكمن سر خلودهما في أنهما استطاعا الدخول إلى أعماق النفس الإنسانيةبما تحويه هذه الأعماق من إضاءات أو ظلامات كل حسب قدرته وفنيته،وإن كان الجاحظ أكثر مقدرة وأبعد شفافية وأجود بيانا وعبقرية من موليير مع الإعتراف بقصور الترجمة عن الإيصال إلا أنهما نجحا في نقل صور هذه الأعماق إلينا وقد نفخا فيها روحا جديدة اقتربت إلى حد كبير من همومنا ومعاناتنا.

-التقى الكاتبان في كثير من الخصائص وافترقا في أكثر من ميزة وخاصة بسبب اختلاف العصر واختلاف الجنس والمعتقدات،لقد أراد الجاحظ كما أراد موليير على الرغم من بعد الزمن بينهما لإظهار عواقب هذا السلوك الذي هو البخل على النفس والسمعة والعلاقة مع الناس أولا،وعلى الأسرة والمحيط ثانيا فالبخيل في صراع دائم مع نفسه ومع الآخرين،وإن ألبسه الكاتب جانبا مضحكا،ولهذا فقد استطاع كل منهما أن يتغلغل إلى أعماق هذه الشخصية،ويركبها تركيبا فنيا أثار فينا مشاعر المرح،لكنه بعث فينا في الوقت ذاته شيئا من الأسى والمرارة،لأن مواقف البخلاء بقدر ماهي مضحكة مسلية هي محزنة ومقرفة ومرفوضة،والسبب أن الشح الذي هو التقتير يجعل من حياة صاحبه وحياة من حوله صورة لا تطاق وبناء على ماسبق ذكره يمكن أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث على النحو الآتي:

-لاحظت أن الجاحظ يغوص في أعماق شخصية البخيل ويتفاعل معها إلى درجة أنه ساق أقاصيصه عن البخل والبخلاء والادخار والنفقة والنفرة من الإسراف والتبذير.

-تأتي مقدرة موليير على التفاعل مع أنموذجه من عنايته الفائقة بتصوير الواقع الذي كان له شغف بمعايشته معايشة مكنته من إلتقاط أدق عادات الناس وتصرفاتهم وأخلاقهم.

-يقوم أسلوب الجاحظ على حدق ومهارة وخبث لطيف ومحبب فهو حين يسخر من شخصية لا يتولى التشنيع والتهجين وإنما يجر القارئ إليها.

-يمتلك أبو عثمان القدرة القادرة على إحياء الأشخص وتركهم يتصرفون وفق بيئاتهم وأدواقهم،وليس من عبث قالوا:"إنه لو عرف المسرح أو لو اطلع على أدب اليونان إطلاعا وافيا لكان موليير العرب بلا منازع. لم يكن ينقص الجاحظ سوى الفن المسرحي وأصوله،أما الروح والمقدرة على السبر والمداعبة والحوار والتشخيص فأمور مشهودة له تؤكد ريادته وأصالته وتفوقه".

-موليير حين يبالغ يقع أحيانا في الإطالة أو الضحالة أو السخف الأمر الذي ينذر عند الجاحظ.

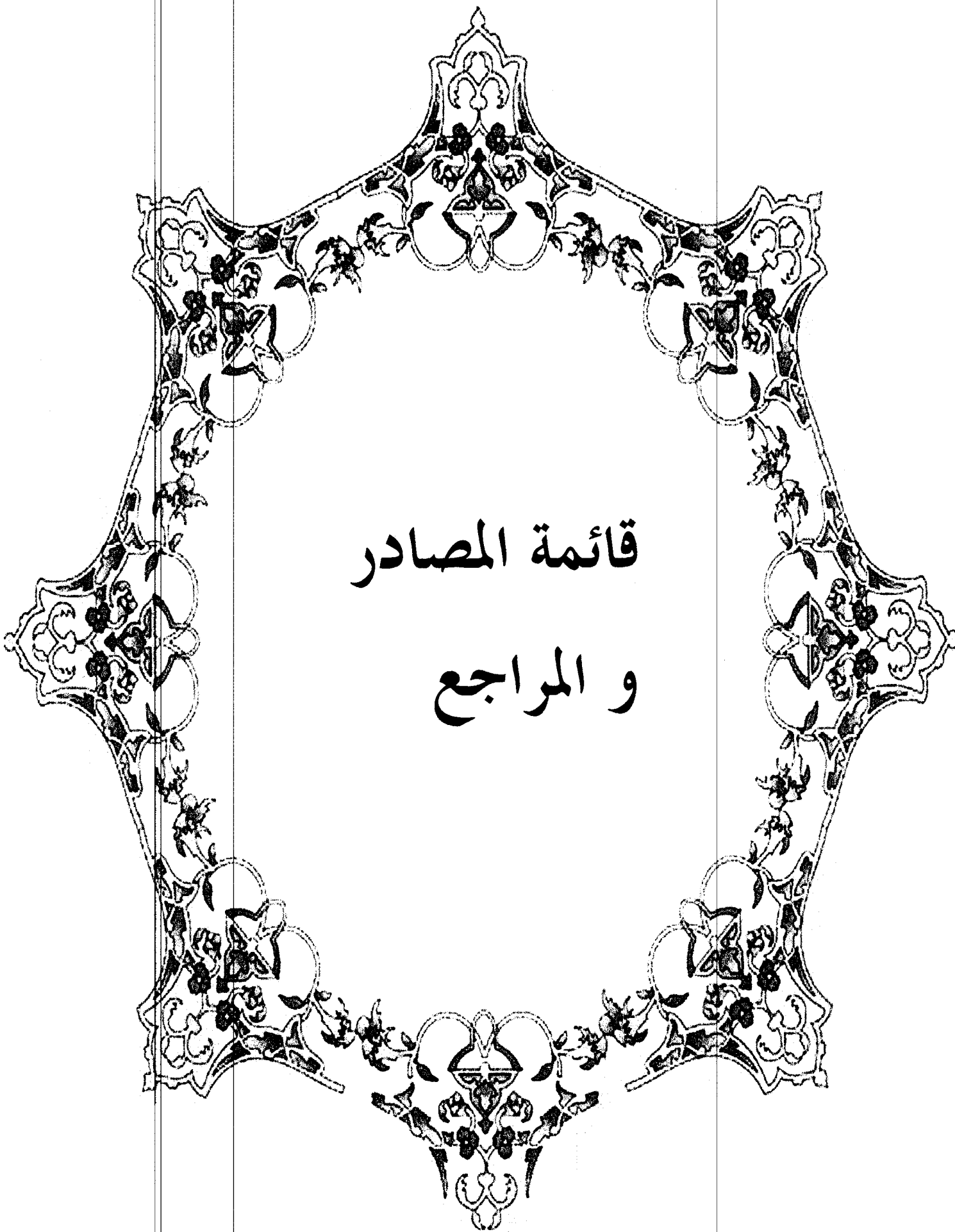

قائمة المصادر
و المراجع

أ-مصادر قرآنية:

1-سورة التغابن،الآية 16.

2-سورة آل عمران،الآية 180.

3-سورة محمد،الآية 38.

ب-مصادر عربية:

4-البخلاء،الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر،دار الجيل،بيروت، ط1993،1.

5- لسان العرب،إبن منظور،دار صادر،بيروت،مجلد 2،طبعة جديدة محققة،(د.ت).

6- مختار الصحاح،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،المؤسسة الحديثة،طرابلس لبنان،(د.ط)،(د.ت).

ج- مراجع عربية:

7-أدباء العرب في الأعصر العباسية،

8-الأدب المقارن،محمد غنيمي هلال،دار العودة ودار الثقافة،بيروت،ط5،(د.ت).

9-الأدب المقارن،محمد غنيمي هلال،دار النهضة،مصر للطبعة والنشر،القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

10- البخيل عربي-فرنسي موليير،مهى عبد الحفيظ صبرا، دار البحار ومكتبة الهلال،ط1، 2004.

11- الجاحظ حياته وأثاره،طه الحاجري،دار المعارف،القاهرة،ط2،(د.ت).

12- الجاحظ ومجتمع عصره،جميل جبر،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،(د.ط)،.1958

13- الحياة في الدراما،أريك نبتلي،المكتبة العصرية،بيروت،(د.ط)،1968.

14-الفن المسرحي،عبد الكريم جدري،دار الفنك للنشر،ج1،ط1993،1.

15-القاموس الإسلامي،أحمد عطية الله،مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1963.

16- المجموعة الكاملة،موضوعة،مصطفى لطفي المنفلوطي،دار الجيل،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

17- المناحي الفلسفية عند الجاحظ،علي بوملحم،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ط1،أفريل 1980.

18- تاريخ المسرح الحديث،جنقيق بيرو،مطبعة جامعة دمشق،دمشق،(د.ط)،1974.

19- تعريفات الجرجاني، إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب العربي،بيروت،ط1، 1985.

20-حضارة العرب في العصر العباسي،حسين الحاج حسين،المؤسسة الجامعية للدراسات،بيروت،(د.ط)،1994.

21-دائرة المعارف الإسلامية البيئة العباسية الجاحظ،دارالكتاب اللبناني بيروت، (د.ط)،(د.ت).

22- دراسات في الأدب العربي،كاضم حطيط،

23- رسائل الجاحظ،الجاحظ،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت،لبنان،(د.ط)، 1991.

24- صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء،علاء الدين رمضان السيد،مجلة جذور،مجلد السابع،(د.ط)،سبتمبر 2003.

25- فن التمثيل،أسعد عبد الرزاق،مطبعة جامعة بغداد،(د.ط)،1979.

26- فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع التذوير والبخلاء والحيوان،ديوان المطبوعات،ط1989،1.

27- مع بخلاء الجاحظ،د.فاروق سعد،دار الأفاق الجديدة،بيروت،ط1992،6.

28- من أعلام المسرح العالمي،محمد حمودة،الدار القومية للطباعة والنشر،(د.ط)،(د.ت).

29- من فنون الأدب المسرحية،عبد القادر القط،دار النهضة العربية،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

30- من أدب التمثيل الغربي،طه حسين،دار العلم للملايين،بيروت لبنان،ط1985،2.

31- نظرية المسرح الحديث،أريك نبتلي،

32- نماذج من المسرح الأروبي الحديث،عبد الكريم جدري،إتحاد الكتاب الجزائريين،ط2002،1.

د- مراجع أجنبية:

33-L'AVARE ,MOLIèRE,L'AVENTURINE,ROBERT RICCATI,PRèFACE DE BRUNO VINCET,PARIS,2000.

34-L'AVARE,MOLèIRE,PLAUTE LA MARMIT,POCKET,1998

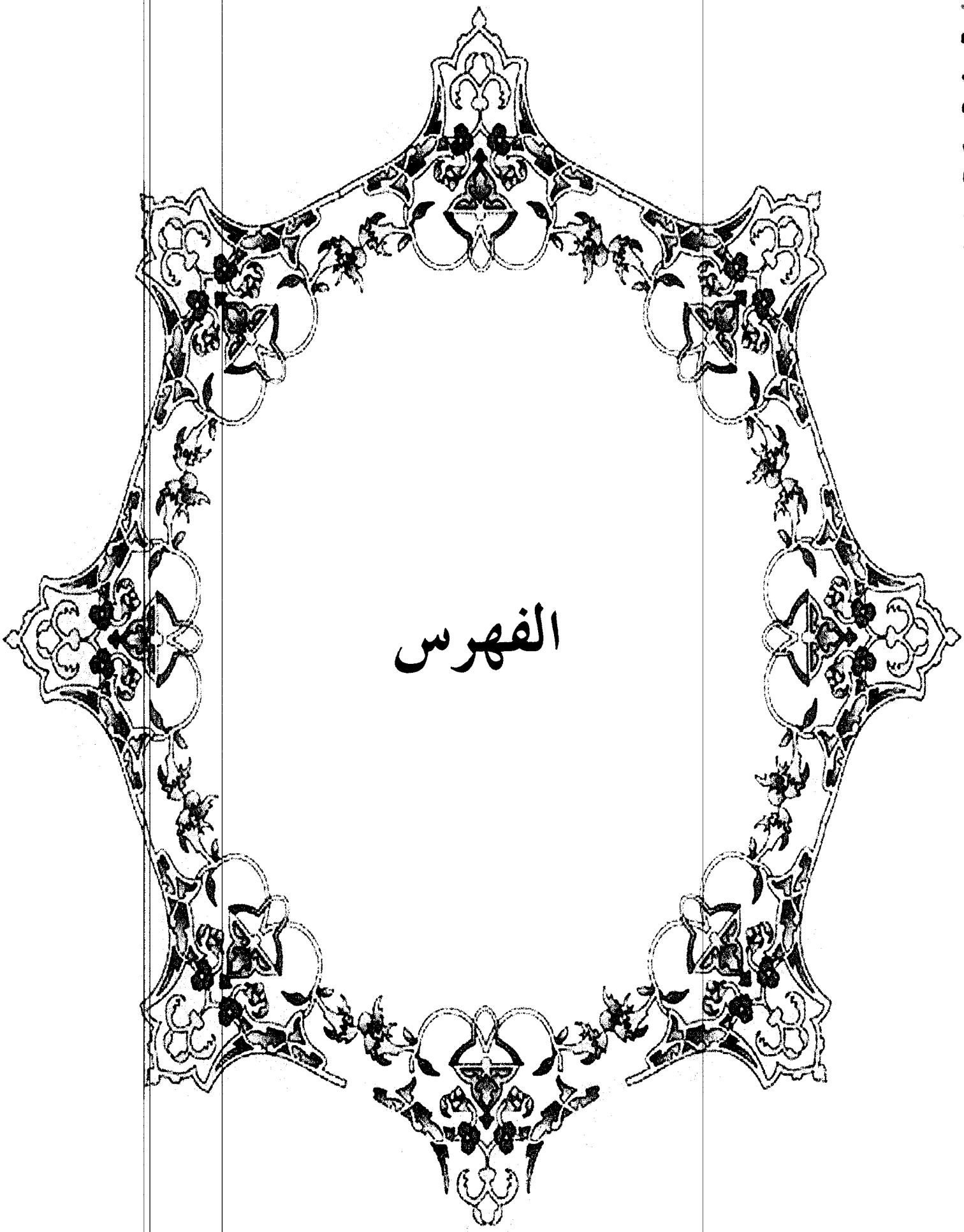

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	
-مدخل.....	1
الفصل الأول: تعريف الكاتبين.	
1-الجاحظ	
أ-بيئته.....	5
ب-مولده وحياته.....	6
ج-شخصيته	9
د-ثقافته.....	10
ه-أساتذته.....	11-10
و-منهجه العلمي.....	12-11
ي-آثاره.....	13
2-موليير	
أ-مولده وحياته.....	15
ب-ثقافته.....	17
ج-آثاره.....	19

الفصل الثاني:دراسة الكتابين.

1-كتاب البخلاء للجاحظ

أ-محتوى كتاب البخلاء.....22

ب- طريقة الجاحظ في تأليف الكتاب.....29

ج-قيمة الكتاب.....32

د- فائدة الكتاب.....34

2-مسرحية موليير.

أ-محتوى مسرحية البخيل.....36

ب-أهم المصادر التي اقتبس منها موليير مسرحيته البخيل.....46

ج-طريقة موليير في كتابته لمسرحية البخيل.....48

الفصل الثالث:ظاهرة البخل في الكتابين

أ-مفهوم البخل عند الجاحظ.....50

ب-مفهوم البخل عند موليير.....53

ج-عنصر السخرية في الكتابين.....55-57

د-أوجه الشبه والاختلاف.....58-68

خاتمة.....70

قائمة المصادر والمراجع.